(الهجرة المنصورية)

ظفار وحصونها وبعض وما فيها من الآثار


بسم الله الرحمن الرحيم

(الهجرة المنصورية)

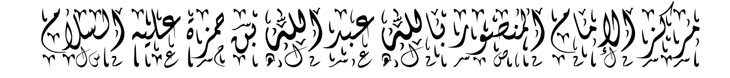
ظفار وحصونها وبعض ما فيها من الآثار

جمع وتأليف

الفقير إلى عفو الملك القدير

إبراهيم يحيى عبد الله الدرسي وفقه الله وثبته





حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

تم الصف والإخراج بمركز الإمام المنصور باللّه عليه السلام

اليمن – صعدة - الحمزات

١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

أما بعد:

تتوق النفس، ويتطلع الإنسان إلى معرفة الكثير من الأمور التي يجهلها، ويبحث عن معرفتها، ويتسآءل عنها، ويحب أن ينقع غلة صداه، ويروي عطش الكبد الحراء مما يتمناه.

فحين يريد الإنسان أن يتعرف على شخصية بينه وبينها مدة من الزمان فإن من طرق التعرف على تلك الشخصية، تتبع الآثار التي تدل عليها.

لأن الآثار تدلك على أشياء كثيرة من صفات ومقومات ومميزات تلك الشخصية، فمن خلال الآثار تستطيع تقويم تلك الشخصية، فعندما تكون تلك الآثار تتعلق بالمجال الديني كبناء المساجد والمدارس العلمية وغيرهما فإنك تعرف أن تلك الشخصية من الشخصيات الدينية.

وعندما تجد الآثار تتعلق بالمجال العسكري كبناء الحصون والسجون والأسوار فإن تلك الشخصية من الشخصيات العسكرية.

وعندما تجد الآثار تتعلق بالمجال الإقتصادي كبناء السدود وحفر الآبار وإصلاح الطرقات فهذه الشخصية تجارية اقتصادية.

وحين تكون الآثار تتعلق بعدة مجالات تعرف أن تلك الشخصية قد حوت كثيراً من الجوانب، وتميزت بكثير من الصفات والخلال والمناقب.

وهكذا تكون الآثار دالة على طبيعة صاحبها، ومميزاته التي تدل عليه، وترشد إليه.

إن آثارنـــــا تـــــدل علينــــــا فـــانظروا بعـــدنا إلـــى الآثـــارِ

وكما يقول آخر:

يـــا عـــين إن بَعُـــدَ الحبيـــبُ ودارُه ونـــأت مســـاكنه وشـــط مـــزاره

فتمتعـــي مـــن بعـــده ولـــك الهنـــا إن لـــم تريـــه فهـــذه آثـــاره

وفي هذه الرسالة المختصرة نتكلم حول بعض الآثار التي تتعلق بالإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام، الذي يعتبر من أنشط الأئمة في مجال البناء فلقد خلف لنا آثاراً ستبقى خالدة على مدار التاريخ، وسيبقى ذكره ملازماً لتلك الآثار، ونتكلم حول حصن ظفار الذي يعدُّ أكبر دليل على ذلك، بما يقع فيه من المباني، التي شملت المدن والأسوار الحصينة والمساجد والآبار والمشاهد والبرك والمدافن والطرق المدرجة، وهو يحتاج إلى دراسة متكاملة تميط اللثام عن أسرار هذا الحصن المعمارية والفنية، ولقد استطاع الإمام أن يقهره وأن يطوعه ليبني فيه تلك المباني العظيمة والكثيرة، بالرغم من صعوبة البناء وشدته، فالجبل يرتفع كثيراً عن المنطقة السهلة حوله، وليس له آنذاك إلا طريق واحد بناها الإمام عليه السلام، وكذلك صعوبة نقل الأخشاب إليه من مناطق بعيدة، وإصعادها إلى أعلاه، مع صعوبة توفر الغذاء والاحتياجات اللازمة لمن يقوم بالعمل فيه.

والكلام حوله في فصول:

الأول: في ظفار وحدوده وحصونه وتسمياتها.

الثاني: في كيفية بنائه والعمل فيه.

الثالث: في بعض الآثار العمرانية فيه.

الرابع: في مَن دُفن بظفار مِن العلماء والمشاهير.

الخامس: في بعض العلماء الذين سكنوا ظفار أو درسوا فيها.

أما الفصل الأول:

وهو في ظفار وحدوده وحصونه وتسمياتها

ظفار: جبل ونقيل مشهور، يقع شمال شرق مدينة ريدة على بعد حوالي (٣٠)كم، وهو عبارة عن مرتفعات جبلية تطل على وادي ذيبين من الجنوب الغربي، ووادي جبار من الجنوب، وعلى شوابة من الجنوب الشرقي، وعلى وادي ورور من الشمال الغربي.

وهو يتكون من مدينة وحصن وقلاع، تحيط بها أربع قمم جبلية حصينة، وهي (القاهرة، ودار الحجر، والقفل، وتعز)، وهي قمم صعبة المرتقى، حصينة البناء، ذات طبيعة جغرافية صلبة، وأهمية كبيرة بالغة في الدفاع عن المدينة:

أما القاهرة: فهو قمة تقع على أكمة في الجهة الشمالية من المدينة، احتوت على تحصينات دفاعية قوية، تمثلت في السور الذي يحيط بها، وجعل فيه نُوَبٌ ضخمة – أي أبراج دفاعية في الشرق والشمال منه – وله فتحة واحدة ينفذ منها باب واحد فقط، وفوق ذلك الباب نُوَبٌ للحماية والحراسة، وفيها سقاية كبيرة تحتفظ بكمية كبيرة من الماء، تنزل إليها بواسطة درج.

وكانت بداية العمارة فيها في شهر جماد الآخرة سنة (٦١٠)هـ، كما سيأتي ذلك.

وأما القفل: فهو قمة تقع على أكمة تقع في الجهة الجنوبية من المدينة، يطل على وادي بني جبار وشوابة، فيه أماكن للحراسة.

وأما دار الحجر: فهو قلعة أقيمت على قمة محاطة بسور وجدار ضخم في الجهة الشمالية الشرقية، ولا يزال ذلك الجدار منصوب البناء، محتفظاً بقوته إلى وقتنا، وإن كان قد أصبح معرضاً للانهيار، وبقية الجهات ذات صخور شديدة الانحدار تمنع التسلق والصعود منها، وباب هذه القلعة في جهة الشرق.

ومساحتها أكبر من مساحة المدينة، وتحتوي على بيوت ومنازل متهدمة.

وفيها آثار مسجد كبير متهدم لم يبق منه إلا محرابه وبعض الأعمدة الأمامية، وفيه بركة كبيرة، وغيرها برك كثيرة، كبيرة ومتوسطة وصغيرة.

وهي تقع في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة.

وأما المدينة: فيمكن قسمتها إلى قسمين:

المدينة العليا: وهي التي بها قبر الإمام المنصور بالله عليه السلام، وسيأتي الكلام عليها، إن شاء الله.

والمدينة السفلى: وهي ما بين حصن القاهرة وحصن الحجر، وفيها آثار مسجد كبير متهدم، وبرك وغيرها، لا تزال بعض جدرانه قائمه وإن كان قد سقط سقفه، وبجواره بركتان، وفي صرح ذلك المسجد قبر مرتفع، وعليه لوح كتب فيه:

قبر السيد الإمام محمد بن أبي القاسم

هذا قبر السيد الإمام، حجة الله على الأنام، ينبوع الحكمة، رباني هذه الأمة، عز الدنيا والدين، سيد أهل البيت المطهرين، محمد بن أبي القاسم بن

محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن سعيد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى المنصور بالله بن أحمد الناصر لدين الله بن الهادي إلى الحق.

توفي قدس الله روحه يوم السبت في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وسبع مائة للهجرة.

وأما تعز: وهي قلعة تقع في الجهة الغربية من المدينة، لها سور ضخم في جهتين منها، وأما الجهة الثالثة فهي صخور منحدرة لا يمكن الصعود منها، والجهة الغربية مفتوحة.

وفي الجهة الغربية أيضاً الطفة وتسمى الظفير.

ويسمى ظفار الظاهر- والمراد بالظاهر مرتفعات همدان -: وهي جبال عيال يزيد وخارف وبني صريم.

ويسمى ظفار ذيبين: نسبة إلى مدينة ذيبين التي يطل عليها ظفار.

ويسمى ظفار داود: نسبة إلى داود بن الإمام المنصور بالله، وذلك لإقامته فيه، أو لإحداثه بنايات وحصوناً جديدة فيه.

وظفار يتوسط ثلاث قبائل من قبائل بكيل: قبيلة مرهبة من الشمال والغرب، وقبيلتي أرحب وسفيان من الشرق، وكلها من قبائل بكيل.

وهو في أقصى حدودها قبيلة سفيان.

وكان يعرف قديماً (بأكمة أبي الفتح)، نسبة إلى الإمام أبي الفتح الناصر بن الحسين الديلمي عليه السلام، الذي اختطه وتحصن فيه أيام إقامته بذيبين سنة (٤٣٧)هـ، ثم خرج منه متوجهاً إلى صنعاء وذمار وما والاها، ولما خذله

الناس وتفرق عنه الأنصار لجأ إليه، وتحصن فيه سنة (٤٣٩)هـ، من زحف علي بن محمد الصليحي، وبقي الإمام أبو الفتح الديلمي يتنقل منها إلى غيرها، إلى أن وقعت المعركة بينه وبين الصليحي في ردمان، وقتل الإمام أبو الفتح في نجد الجاح، ومعه سبعون رجلاً من أصحابه سنة (٤٤٣)هـ، وقبره عليه السلام بردمان والتي تسمى اليوم الميفعة، شرق مدينة ذمار على خط رداع، بينها وبين ذمار ١٥كم تقريباً، وقبره هناك مشهور مزور.

[كلام هام حول بداية إعمار ظفار]

وقبل الخوض في تلخيص مراحل إعمار ظفار وحصونه، نقدم كلاماً هاماً أورده العلامة الكبير، والمؤرخ الشهير أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي في اللآلئ المضيئة، في بعض النسخ الخطية، في أواخر ترجمة الإمام المنصور بالله عليه السلام، نستفيد من خلاله معرفة أشياء كثيرة تتعلق بحصن ظفار وتوابعه:

قال المؤرخ الكبير، والعلامة الشهير، أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي رحمه الله تعالى:

وكان من مآثره عليه السلام حصنا ظفار: الحجر والقاهرة، وكان ابتداء عمارة الحجر في سنة إحدى وستمائة، **وسماه ظفاراً**، فقدم عمارة سوره ومواجله، واستقى إليه الماء من الموضع المعروف بالمولدة.

ثم ذكر الشرفي قصة الحرب على ظفار وستأتي بأوسع مما ذكره إن شاء الله تعالى، ثم قال بعد ذلك:

ثم أمر الإمام عليه السلام بعد ذلك بالاجتهاد في عمارته، وقسم عرصته بين خواصه وأمرآئه، وقطع أكمة كانت متصلة به إلى جهة اليمن، وكان يعمل فيها هو وتلامذته وأهل التدريس، حتى سلخه من الحصن، وعمرت فيه المواجل العظيمة، وبنيت الدور الواسعة.

قال الفقيه حسام الدين حميد بن أحمد رحمه الله: فقطع الله به دابر الظالمين، وأخمد نار المفسدين، وأعز به الدين، وثبت قواعد المسلمين.

وقد أمر الإمام عليه السلام بعمارة الحصن المسمى بالقاهرة - وهي أكمة منيعة مسامتة لظفار- في جمادى سنة عشر وستمائة، فتجرد لعمارتها الشيخ دحروج فجمع القُطَّاع والبُنَّاءَ، فلم تمض أيام إلا وقد أحكم ما يحتاج إليه من تحكيم القطوع والسور والمناهل على أحكم ما يكون وأحسنه، وأقواه وأرصنه.

ثم قسمها الإمام عليه السلام بين خواصه ووزرائه وبني عمه وغيرهم من المهاجرين والمرابطين، لما كثر عددهم وضاقت بهم المنازل، حتى حَلُّوا في الكهوف، كما فعل في الحصن الأول، **وكانا جبلين لا عمارة فيهما**.

قال الفقيه حسام الدين حميد بن أحمد رحمه الله تعالى:

كان حصن ظفار قد اختطه الإمام أبو الفتح الديلمي وحارب منه الصليحي، والله أعلم.

قال مؤلف سيرة الإمام المنصور بالله عليه السلام: إنه عليه السلام لما أخرب دور المفسدين في صنعاء، وأجلى كثير من أهلها فلم يبق فيها إلا جماعة قليل سدوا عليهم أبوابهم، فأخرب كثيراً من دورها، وحمل عيدانها وأخشابها وأبوابها فعمر بها بالحصنين بالهجرة المباركة ظفار والقاهرة.

وذلك سنة اثنتي عشرة وستمائة، وكان المتولي لهما الأمير الشريف العالم نظام الدين الفضل بن علي بن المظفر العباسي العلوي.

ثم أمر [الإمام] الأمير هذا ببناء سور عظيم يجمع الحصنين، فجمع هذين الحيين من بكيل وحاشد وسألهم العون في هذا السور، فأجابوه إلى ذلك،

فقسموه بينهما واجتهد كل في نهجه، وبنوه بالصخر الكبار، حتى صار كأحد الجبال الرواسي، وجعل في وسطه باباً عظيماً.

ثم أمر الإمام عليه السلام من أحب من عشائره وأهل بلاده جوارَه بالعمارة فيه، فأقبل إليه كثير، وأمرهم ببناء مدينة تحت الحصنين يضمها مع المدينة السور، وقسمها بينهم، وهي أرض واسعة، فلم تمض ثلاثة أحوال حتى ضاقت بأهلها، وصار الواحد من الناس يطلب المكان اليسير إلى الخمسة الأذرع أو الأربعة الأذرع بمال عظيم فلا يجده.

وصار فيها سوق عظيم ترده القوافل من نواحي البلاد.

قال: وكان ظفار هذا مستقره عليه السلام، وموضع هجرته، وكرسي مملكته، ومحل أمرائه وخواصه، وأكثر أولاده وحريمه، ومات عليه السلام والمتولي عليها الفضل بن علي. **انتهى كلام المؤرخ الشرفي رضي الله عنه.**

ومن هذا نستطيع تلخيص الأمور التالية:

الأول: أن الإمام المنصور بالله عليه السلام هو أول من اختط ظفار، وعمر حصونها وما فيها من الآثار، ولم يكن هناك آثار حميرية، ولا مبان سبئية، ولا مآثر لأي دولة قديمة، كما قد يتوهمه البعض، إلا ما سبق ذكره من اتخاذ الإمام الناصر أبي الفتح الديلمي عليه السلام لذلك، فترة من الزمن، ولم يظهر أن الإمام الديلمي عليه السلام قام فيها بعمارة أو تحصين، أو أحدث بنايات، لأنه كان متخفياً خائفاً من الصليحيين، فلو عمر أو بنى لاشتهر مكانه، وعرف محله.

ويدل على ذلك: أن الإمام المنصور بالله عليه السلام هو الذي سماها ظفاراً، ولم تكن تسمى بذلك الاسم من قبل، ولو كان بها أي تواجد للحميريين لاشتهر ذكرها بين المناطق التي تمركز فيها الحميريون والسبئيون.

وإنه لمن الظلم الكبير للإمام المنصور بالله عليه السلام أن نضيف تلك الأعمال الجبارة، والتحصينات العظيمة، والمباني القوية، والآثار الإسلامية، إلى دولة لم تعمل فيها شيئاً، ولا يوجد أي دليل تاريخي ولا أثري على ذلك.

وكلام المؤرخ الشرفي يدل على أن تلك الجبال لم يكن بها عمارة ولا آثار ولا غيرها، بل كانت جبالاً ذات تضاريس وعرة وصعبة، استطاع الإمام بعون الله وتأيده تحويلها إلى منطقة آهلة بالسكان، تتوفر فيها جميع مقومات الحياة.

الثاني: أن ظفاراً أصبحت عاصمة للدولة المنصورية، ومستقراً للأحكام النبوية الشرعية، وأصبحت مدينة آهلة بالسكان، تتمتع بكافة المؤهلات للسكنى، وأصبح بها سوقاً كبيراً تجلب إليه حوائج السكان، وغير ذلك.

الثالث: أن العمارة في ظفار استمرت من أواخر سنة (٦٠٠)هـ، إلى وفاة الإمام عليه السلام، وأنه عليه السلام كان يزيد في البناء والإعمار والتوسيع فيها بحسب حاجة المسلمين إلى ذلك، فكلما غَصَّ حصن بالسكان أحدث آخر، وقام بإعطائه لمن أحب السكنى فيه، حتى ضاق بالسكان.

الرابع: استعانة الإمام عليه السلام في الإعمار بقبائل حاشد وبكيل، ومعاونتهم في ذلك، دليل على طول مدة العمل، وصعوبته.

نبذة مختصرة عن مسجد ظفار

ومن أهم الآثار الباقية في مدينة ظفار: مسجد الإمام المنصور بالله عليه السلام: وهو من الآثار المنصورية ذات الطابع المعماري الفريد، فهو يتكون من بناء مستطيل الشكل، له بابان، وله جناحان يشرفان على صرح في وسطه، وله بابان أحدهما من الجهة الجنوبية، والآخر من الجهة الشرقية، وفي الجهة الشرقية توجد منارة المسجد المرتفعة والمزخرفة، التي بنيت بالآجر، وتحتها سقاية للماء، مسقوفة بالأخشاب، وخلفها بركة الماء التي تستخدم للوضوء.

وكانت زخارف المسجد آية في الجمال والإبداع، الذي لا نظير له، بأشكال مختلفة، وألوان متناسقة، وتلك الزخارف اشتملت على السقف، ومعظم أجزاء الجدران الداخلية، لا سيما الجدار القبلي والمحراب، وقد صممت هذه الزخارف بالجص بأشكال زخرفية متداخلة ومتناسقة، إضافة إلى كتابات بالخط الكوفي، أما سقف المسجد خاصة فكان يحتوي على مصندقات خشبية مزخرفة بألوان مختلفة، محلاة بلون ماء الذهب، المتناسق مع الألوان الجميلة، ولكن قد عفى عليها الزمان، وعبث بها أولياء الشيطان.

ويظهر من الخارج روعة المسجد وجماله وهيبته، بارتفاع مئذنته العالية الشامخة، الجميلة المزخرفة، إضافة إلى القبتين اللتين في صرح المسجد.

ولكن ذلك الجمال والهيبة قد غطاها الزنك، الذي استتر تحته شيء كثير من البهاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد شارك الإمام عليه السلام بيده المباركة في العمارة للمسجد، وكان العمال أذا أعياهم العمل، أو صعب عليهم رفع بعض الصخور والحجارة الكبيرة، استدعوا الإمام عليه السلام ليقوم بذلك العمل، أو ليساعدهم في ذلك، أو ليأخذوا رأيه مشورته.

وقد كانت مدينة ظفار من أهم مراكز العلم وهجره في الديار الزيدية، سكنها علماء مشهورون، وكانت خزانته تحتوي على أعداد كثيرة من الكتب في شتى فنون العلم، قيل: على اثني عشر ألف كتاب، وقيل أكثر، وقد نقل الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين رحمه الله ما بقي من هذه الخزانة إلى مكتبة الأوقاف في الجامع الكبير بصنعاء التي بناها لغرض حفظ ما تبقى من الكتب والمخطوطات في اليمن، وذلك في سنة (١٣٤٤)هـ.

وسيأتي مزيد كلام حول عمارة المسجد فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الفص الثاني:

في كيفية بنائه والعمل فيه

كان الإمام المنصور بالله عليه السلام قد هم بعمارتها، وطاف إليها من شوابة، وأتاها وجه عشي ولم يصعد أعلاها، ولا تأملها حق التأمل؛ ونظر إلى الأكمة التي في المغربة في عدنها متصلة بأعلاها، فعاد وقد أضرب عن عمارتها ولم يخطرها بعد ذلك بباله.

ونلخص مراحل عمارة حصن ظفار فيما يلي:

الأول: معرفة السبب الداعي إلى اتخاذ الحصن

وكان سبب عمارة الإمام لحصن ظفار:

هو أن الإمام عليه السلام بلغه وهو بحوث طلوع الغز بقيادة وردسار إلى ظاهر بني صريم، فاضطرب الناس وأتوا إليه يأخذون رأيه في التميل، فلم يمنعهم، فخرج كل منهم إلى جهة وركب الإمام عليه السلام في خمسة وعشرين فارساً قاصداً جهة العدو وقد صارت البلاد معطلة من أهلها، فلما بلغ وردسار نهوض الإمام عليه السلام بواسطة الجواسيس والعيون، نهض من محطته بالبون راجعاً إلى صنعاء في اليوم الذي نهض فيه الإمام عليه السلام ولم يستقر به القرار بريدة، من شدة الخوف.

ولما أمسى الإمام عليه السلام بقرية دنان — في ناحية العشة من بلاد خمر– والبلاد خالية من أهلها، أتاه صبح تلك الليلة قبائل بني حيان – من قبائل

ذيبين-، فسألوه القدوم إلى بلادهم، فأسعف سؤالهم، ونهض إلى جهتهم وبلغ العلم بمراح وردسار إلى صنعاء، ففرح الناس، وأتى كل بالبشارة من كل جهة.

فلما نظر عليه السلام في أحوالهم وما قد اعتراهم من الخوف والذلة من الغز، وما قد وقعوا فيه من تفرق الأهواء، وتشتت الآراء، جرى الكلام بينه وبين جماعة من أصحابه في ذلك المجلس في أن الناس لا يجدون موضعاً يمنعهم ويلجؤون إليه عند حركة العدو إلى البلاد، وكان ممن حضر ذلك المجلس الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم، والشيخ عزوان بن أسعد السريحي في جماعة من الأشراف والحاشية، فذكروا قلعة الإمام أبي الفتح بن الحسين الحسني الديلمي عليه السلام.

الثاني: الطيافة والنظر في صلاحه من عدمه

وبعد أن رغبوا الإمام عليه السلام في ذلك، أحب الجماعة طيافتها ورأى الإمام عليه السلام إعادة النظر فيها، وكان عزوان بن أسعد من أشدهم عناية في أمرها، وكان قد طلعها وعرفها فأجمع الرأي على القدوم إليها، فنهضوا في الحال حتى أتوها، وترجل الإمام عليه السلام وصعد أعلاها، وطاف أقطارها، وأنعم النظر في أمرها، فرآها صالحة لذلك، ومناسبة لأن تكون ملجأً وحصناً، لكونها في أوساط الجبال، وشاهد من المنعة والحصانة ما نقض الاعتقاد الأول، فعاد منها وقد عزم على إثارة العمارة فيها، وأمر في الحال بتجهيز وإعداد ما يحتاج إليه من آلات العمارة.

الثالث: استشارة الخواص وتجهيز آلات العمارة

ثم عاد الإمام عليه السلام إلى حوث، واستشار جماعة من أصحابه ومن يختص به من الأولياء والحاشية والشرفاء الذين لم يكونوا حاضرين يوم طيافته عليها، فاستشارهم فيما قد عزم عليه من عمارتها، فمنهم من صوب رأيه، ومنهم من توقف، وكان رأيه عليه السلام أصوب، ونظره أثقب، فشمر عن ساق الجد، وبذل الأموال وأكثر.

فأمر باستعمال الآلات من الحديد وغيره، وحمل الطعام للعمال، ولبث ثمانية أيام حتى أهَّبَ ما يحتاج إليه.

ثم نهض إلى ظفار للإشراف على العمل، ونهض معه الأميران عماد الدين يحيى بن حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم، وطائفة من الشرفاء والخواص.

الرابع: بداية العمل، وتسمية الحصن

وجعل أمر العمارة المباركة فيها يوم الاثنين لعشرين ليلة خلت من شوال من سنة ستمائة (٦٠٠)هـ.

ووقف بالحصن وأقام به ثلاثة أشهر وستة عشر يوماً، والأعمال قائمة على قدم وساق.

وكما سبق كان اسمه (أكمة الفتح) أو (أكمة أبي الفتح)، فرأى الإمام عليه السلام أن يسميه (**ظفاراً**)، تفاؤلاً بالظفر، وتباشراً بالنصر، فكان اسمه موافقاً

لمسماه: فما أسرى منه سرية، ولا جهز عسكراً إلا كان الظفر قرينَه، والنصرُ خدينه، **وكان ابتداء العمل في موضعين:**

أحدهما: بناء السور، فقطعت له الصخور الكبار واستمرت العمارة فيه.

والثاني: حفر الخندق، ما بين الأكمة والحصن، وكانت متصلة به.

والذي يظهر أن الخندق في الجهة الغربية، وأنه الذي يفصل ما بين الظفير (الطفة) وبين المدينة.

الخامس: كيفية العمل

ولاستمرار العمل وسرعة إنجازه، فقد قسم العمل فيه إلى فترتين، وكل فترة لها عمال يقومون بأعمال تخصهم:

الفترة الأولى: الفترة النهارية - من الصباح إلى ما بعد الظهر-، يعمل فيه طائفة من العمال منهم من يقوم بالعمارة، ومنهم من يقوم بتقطيع الأحجار وتجهيزها.

الفترة الثانية: الفترة المسائية — من بعد الظهر إلى جزء من الليل -، فإذا وقف العمال في الفترة الأولى آخر النهار، أتي بمن ينضاف إليه من أصحابه للعمل إلى ذهاب جانب من الليل.

وكان الإمام عليه السلام يحفر بيده ويعين على تقليب الحجارة بنفسه، ولا يستقل القليل من العمارة رغبة فيما عند الله، وتعرضاً لثواب الله، وما يرجوه من إعزاز الدين ودفع الشر عن المسلمين، واقتداء بجده النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الذي شارك المسلمين بنفسه في بناء مسجد قبا، وحفر الخندق يوم الأحزاب، وإذا رآه العمال يعمل بنفسه، ازداد نشاطهم، وتقوت عزائمهم، وتفانوا في عملهم.

وكان الإمام عليه السلام يطلق لهم الأراجيز، التي لها دور كبير في تجديد النشاط، وتقليل الملل، وإبعاد الكسل عن العمل، فكان مما يرتجز به الإمام والعمال في حال العمل، هذه الأراجيز:

تمسية لنا مع الغروب تذهب بالأحزان والكروب
وتؤذن الفساق بالهروب رموا بداء غير ذي طبيب
ينصرنا مقلب القلوب على ولاة الظلم والعيوب

ومنها:

لا يستوي من يكسب المكارما ويحمل الأثقال والعظائما
ومن يكون في الحروب نائما

ومنها:

لا يستوي من يركب الصعابا ويضرب الهامات والرقابا
ويفتح الأقفال والأبوابا ومن يكون وعده سرابا
ومن إذا دعا الخنا أجابا

فإذا سمعه أصحابه يرتجز، ورأوه يعمل قاموا للعمل مسرعين، وهم يرتجزون، فكان من رجز أصحابه إذا شرع في العمل:

لئن قعدنا والإمام يحفر فذاك منا عمل مخسر

السادس: موقف الغز الأيوبيين عندما علموا ببناء الحصن

ولما بلغ العلم بعمارة الحصن إلى وردسار شق ذلك عليه، واستشاط غضباً، وعظم عنده، واجتهد في تعطيله، وحاول جاهداً في إيقاف العمل.

فخرج من صنعاء في عسكر كبير في ذي القعدة فحط بحدقان — وهي مدينة أثرية في بلاد بني الحارث شمال صنعاء - وأقام بها أياماً، فتودد إليه أهل تلك المناطق المجاورة خوفاً من بطشه بهم.

وكتب الفقيه العلامة الحسن بن ناصر العذري كتاباً إلى الإمام عليه السلام يخبره فيه بما فعل الغز في خروجهم، حكى فيه:

أنه قدم إلى وردسار جماعة ممن حضروا مقتل الأمير الشهيد إبراهيم بن حمزة رحمه الله، منهم رجل يسمى منصور بن زياد يطلب المادة من الغز فقتلوه، وأضرموا النار على رأسه؛ ومنهم علي بن عطاف من آل حسان سَابَقَ جماعة من الغز على فرس له فدّقت عنقه؛ ومنهم رجل يسمى عامر بن سليمان غُزِي في بلده، فقُتل رجل من أصحابه، وأُخذت له درع حصينة وقُتل حاملها إليه، وأُخذ له قدر مايتي كيلجة طعاماً، وغزا يريد نقم الثأر من عدوه، فقتل رجل من أصحابه، وراح على أشر قضية، وصار خائفاً في منزله لا يخرج منه.

ثم نهض وردسار من معسكره بحدقان حتى أتي قرية عجاز– وهي قرية في ناحية أرحب– فهدمها، وقصد بلاد بني زهير، فحط العسكر بناعط وأهلها آمنون إليه، مطمئنون من جهته، غير خائفين من جنبته لكونهم بزعمهم من جملته، فعزم على أخذهم وقبض أموالهم، وخراب منازلهم، فأتاهم النذير

فانهزموا من تحت الليل بأنفسهم وكراعهم، وأحاط على ما حوت البيوت، وأنهبها العسكر وأخربها، وأراد القدوم إلى بلاد بني زهير ليفعل فيها كما فعل في ناعط، فبلغ خبره إلى الإمام عليه السلام وهو بحصن ظفار أثناء العمارة، فجهز الإمام عليه السلام رجالاً من الجند عنده، ومن حضر من الأعوان صحبة الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم لحفظ جبل بني زهير، وحفظ كلمة أهله ومنابذة العدو دونه، فتقدموا إلى الجبل، وفرق الإمام عليه السلام الكتب إلى الجهات يستنفر الناس إلى جبل بني زهير للجهاد في سبيل الله.

فلما علم وردسار انتقض عليه أمره، وفسد عليه حاله، وعاد إلى صنعاء ناكصاً على عقبيه بأشر حال، فلبث بها واشتغل في بناء دار أحدثها، وأخرب أكثر دور صنعاء لعمارتها، فقيل له في مجلسه: بأنه قد كثُر الخراب في المدينة، فقال: لأخربن صنعاء حتى يقال تولاها كردي فأخربها، وما أبقى لها أثراً.

فهذه بعض ردود الفعل التي اتخذها الغز ليثنوا الإمام عن بناء الحصن، ولكن ذلك لم يؤثر، بل ازداد عزماً وتصميماً في ذلك.

السابع: هزيمة الغز في محاولتهم حرب ظفار

لم يكتف الغز الأيوبيون بانكسارهم الأول، وعجزهم عن إعاقة العمارة في ظفار، بل عمدوا إلى تجييش الجيوش وإعداد العدة لحرب ظفار.

فعندما خرج الإمام عليه السلام من ظفار بعد إقامته فيها ثلاثة أشهر وستة عشر يوماً أثناء بداية العمارة، طلب الإمام عليه السلام من يقوم بأمر الحصن ويقف فيه من الشرفاء وغيرهم، فلم يساعده أحد منهم، وخاف كل

منهم على نفسه لما علموا من قلة الشحنة فيه وقلة الماء وضعف العمارة، فجعل الإمام ولاية حصن ظفار إلى الشريف يحيى بن حمزة، فتساهل في عمارة الحصن، ووقع منه تفريط في أمره، بسبب غيبة الإمام عليه السلام بذي مرمر، وللهدنة التي وقعت بين الإمام عليه السلام وبين وردسار، وكانت مدتها سنتين وعشرة أيام وعشر ساعات، أعطى وردسار فيها العهود والمواثيق على الوفاء إلى انقضائها، فلما وقع التفريط من الشريف يحيى بن حمزة عن الولاية، وترك العمارة عزله الإمام عليه السلام.

وولى أمر الحصن خادمه الشيخ الأمين دحروج بن مقبل، فطافه فلم يجد فيه إلا الشيء اليسير من الحب والماء، حتى أنه اشتاط ليلة وصل إلى الحصن بأربعة دنانير له وللديوان الذين معه، وقد ضاق الوقت وقرب العدو .فقام وشمر في الأمر، ووطن نفسه على الصبر واحتمال المشاق، فنهض إلى حوث، ونقل ما كان قد بقي بها من الحبوب، واشتاط واستلف، وشرى ما لا بد منه من الشحنة التي لا يستغنى عنها في الحصون من الملح والزبيب وغير ذلك، فما كان إلا المدة اليسيرة وقد صار في الحصن ما يكفيهم مدة أشهر، وأمر بقطع الأخشاب واستعمل عرادتين، وبلغ الماء ستة غروب بدينار، وكانوا يحملونه من موضع يسمى المولدة، حتى صار معهم من الماء ما يكفيهم شهوراً في هذه المدة اليسيرة مع تضايق الأحوال، وفساد أهل البلاد، وأمده الإمام عليه السلام بمال وصل إليه من بلاد بني حبيش؛ أتى في وقت حاجة شديدة إليه وعُدم، فنفع نفعاً كثيراً.

وفي أثناء ذلك وصل سنقر إلى صنعاء يوم الأربعاء لست عشرة ليلة خلت من رجب من سنة إحدى وستمائة، فاضطربت أحوال البلاد وتعطلت من أهلها.

ونهض سنقر إلى ريدة يريد حصن ظفار يوم السبت، وأطبقت البلاد معه على الخلاف، واجتمع العرب والعجم على حرب الإمام عليه السلام، فكانت العاقبة للمتقين.

فبقي سنقر في ريدة ثلاثة أيام، ثم نهض من ريدة فحط بموضع بالقرب من شظب وأعمالها، فأقام بها سبعة أيام، وأنزل الله عليهم مطراً في غير وقته، وبَرَدَاً شديداً لم يقع مثله، على ما حكاه من كان حاضراً معهم حتى أضر بهم، وبدوابهم وبجمالهم، وهلك منها جملة كثيرة، ولم ينالوا طائلاً من تلك الجهة.

وكان أهل الحصن يتوقعون وصوله إليهم في كل يوم، فصرفه الله تعالى حتى أحكموا أمورهم، وعمروا ما يحتاجون إليه، وما يخشون منه الخلل، ونفرت البناة والعمال منهم فتولوا أمر العمارة بأيديهم في الليل والنهار حتى أصلحوا ما يحتاجون إليه.

وكتب الشيخ دحروج بن مقبل كتاباً إلى الإمام عليه السلام يحكي فيه اختلال كثير من أصحابه عليه، واضطراب أحوالهم، ومضايقتهم له بطلب الجرايات التي تجري للمرابطين، وذكر في كتابه أنه يفتقر إلى المال الكثير ليسد به خللهم، وسأل الإمام المادة برجال يأنس إليهم، ويستظهر بهم على من أراد المعارضة والفساد في الحصن.

فطلب الإمام عليه السلام المال بالسلف من السلاطين آل حاتم بذي مرمر، فحصل منهم شي يسير بعد خطاب كثير، وباع منهم ثلاثة أفراس من جياد خيله وأرخصها لمساس الحاجة، وأمر بأثمانها أولاً فأولاً.

والتمس الرجال من الجند الذين في ذمرمر وغيرهم، وبذل لهم المال فلم يجبه أحد إلى ذلك، ولا ساعدوه إليه، وقد قطع الناس إلا القليل منهم على أن الغز يأخذون الحصن، وأن الذين به لا يستقرون فيه لحرب ولا سواه.

فلما اشتد الخطب، وأعياه الطلب، شاور من حضره من أصحابه في الأمر، فانتدب الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع للقدوم إلى ظفار - وكان بالمدرسة بذمرمر جماعة من أصحاب الإمام عليه السلام، فشاورهم على التقدم صحبته فساعدوه، ولم يكن لهم سلاح - فأمر الإمام بشراء السلاح لهم في الحال من ديوان الحصن، وضاعف لهم في القيمة، وصدروا صحبة الفقيه إلى ظفار للجهاد في سبيل الله، فكان نفعهم عظيماً، وضمهم الشيخ دحروج إلى جملته، وجعلهم من بطانته مع من كان معه من الشرفاء وغيرهم ممن يعتد به، وصار في الحصن مائة وأربعون رجلاً.

المائة منهم أهل الجرايات والديوان، والأربعون مطوعون مجاهدون في سبيل الله، بعد أن أخرجوا من كان يريد الخروج منهم، وأمسكوا من اختار الوقوف والصبر معهم.

وكتب الإمام عليه السلام إلى أخيه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة بأن ينتخب من أبطال الرجال وفرسانهم وأهل الصبر والحمية منهم، ويكونوا على

الأهبة لمحطة الغز على ظفار، وأمر الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم بمثل ذلك، فكان الكل على التأهب، فدفع الله شرهم وردهم **{بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}**.

وفي خلال إقامة الغز بريدة وشظب لم ينقطع الحرب عليهم، والغارات في الليل، والقتل والأخذ في أطرافهم بالنهار، من جهة الأميرين المذكورين.

ثم نهض سنقر من محطته يوم الأربعاء مستهل شعبان، وحطت جنود الظالمين ببهمان يوم الخميس، فلبثوا نهارهم، ثم نهضوا يوم الجمعة فحطوا بخرقان والسبيع والمنقل في عسكر عظيم متباعد الأطراف، قوي العدة والسلاح، لم ير مع سيف الإسلام إسماعيل ومن قبله أقوى منه من عدتهم، ولا أشد من الاتهم.

ووافق وصولهم كمال العرادتين التي أمر الشيخ دحروج بصنعهما، فكان ذلك من أسباب النصر عليهم، وما النصر إلا من عند الله سبحانه.

وحكى الفقيه الفاضل علي بن أحمد الأكوع قال:

لما كان يوم الجمعة وقد استقرت محطة الغز بجرن المنقل، أقبل منهم بشر كثير، وخيل جمة، حتى بدوا من أعلى الجبل في غربي الحصن، وانتشروا في أقطاره يمنة ويسرة، فرموا بقسي النشاب والشرخ، فبلغ الشرخ إلى الحصن، ومن النشاب سهم، وسائره يتقطع في الهواء دون الحصن ولم يصل منه شيء.

ولما علم الشيخ دحروج بإقبالهم، أمر بإخراج العدة وآلة السلاح، واصطف أصحابه على أطراف الحصن، ورأى الغز قلة عددهم، والحصن أسفل منهم والأكمة المتصلة بالخندق؛ ترآءى لهم أنها متصلة بالحصن، فعادوا إلى محطتهم

بخرقان مستبشرين بأخذه قاطعين على غلبته، حتى أن وردسار أقسم لسنقر الأيمان المغلظة: لا وَقَف فيه أهلُه، وليقتلنهم بكرةً أشر قتلة.

وجهز العسكر آخر نهاره، وفرق فيهم النشاب، وأعدوا السلاح من الغوارم والجفاني والطوارق والشروخ والفياس العربية، والآلات القوية، وأخربوا قرية صولان بالقرب من الحصن، وقد أذموا على أهلها، وأخذوا أخشابها، واستخدموا منها معارج يطلعون عليها بزعمهم، ومدارع يخربون بها.

ولما رآهم بعض من حضر، وما أظهروا في محطتهم من القطع على أخذ الحصن، كتب كتاباً إلى الشيخ دحروج على وجه النصيحة له يأمره بتحريق ما في الحصن، وتبديد ما فيه من الحبوب وغيرها، والنجاة بنفسه وبمن معه من تحت الليل، فإن القوم آخذون الحصن لا محالة، فكتم الكتاب ولم يحفل بما جاء فيه.

ونهضت المحطة على نصف من الليل، ومضوا على نقيل العقل، فلما استبطنوا الوادي ضربوا الأشجار بالنيران في أسفله، يوهمون أنهم يريدون شوابة، وحطوا في شرقي الحصن.

وشرعت خيلهم ورجالهم في صعود الجبل، فما طلع الفجر إلا وقد طوقوا الحصن بالخيل والرجال، ولا علم لأهله بهم، حتى أشرف رجل من قبلي الحصن، فظن أن الخيل لكثرتها ماعز تريد الانحياز إلى الحصن من الغز، فاستبان بعد انتشار الضوء أنها خيل.

ثم ترجلوا عنها وطلعوا الشعب الغربي، وقصد معظم العسكر وثقله جهة الجانب الغربي، فكان أولهم في المغربة قدام الحصن، وآخرهم في موضع يسمى

الطوامر، وتكامل العسكر من كل جهة عربهم وعجمهم، وزحفوا للقتال، وأرعدوا وأبرقوا، وضربت الطبول، ونفخت البوقات، وارتجت الجبال من رهيج العسكر، وانسدت الأصوات، ونصبوا الشروخ للرمي بها، وتدرعوا، ودنوا للحرب، وتشرعوا للقتال، وأتي بأحمال النشاب على البغال وأكتاف الرجال.

وتحكم أهل الحصن حول سورهِ، ولم يبدُ أحد منهم، وكان الإمام عليه السلام قد وصاهم بذلك، وبالغ في الوصية، وأمرهم بترك السب والكف عن الأذية، وأن يجعلوا شعارهم ذكر الله تعالى في حال الحرب، ففعلوا ذلك.

وما زال القتال عليهم مستمراً إلى قبيل صلاة الظهر، وكان للعرادتين نفع عظيم أبلغ من قتال الناس.

ولم يقدر أحد منهم أن يبلغ للقتال خوفاً من حجارتها، لأنها بلغت إلى بركة المغربة، وكان الغز أرادوا نصب المنجنيقات عندها، فلما بلغت الحجارة ذلك الموضع، أمروا برد المنجنيقات إلى محطتهم، وكانوا قد حملوها على الجمال وصارت بالقرب من الطوامر، وكان منتهى ما بلغوا إليه بعد الاجتهاد العظيم في الحرب وسط الأكمة التي هي قدام الخندق، وما استطاع أحد منهم الصعود إلى ذروتها.

وكان معظم قتالهم الرمي بالنشاب والشروخ حتى أفنوا ما معهم، وكان الرماة على ما حكى الشيخ محمد بن الحسن الرصاص – وهو ممن شهد القتال – بالتقدير يزيد على أربعمائة رام، وحكى ذلك غيره، وما راحوا بشيء من النشاب.

ووقعت جراحات كثيرة لم يمت منها أحد تحت الحصن، وكانوا يخفون موتاهم بعد ذلك.

ولما حمي عليهم النهار، وطلبوا الماء فلم يجدوه؛ أصابهم الظمأ الشديد، فبلغت الشربة درهماً وأكثر، فانقبضوا من القتال، ولا سبيل لهم إلى محطة على الحصن، فانقلبوا خاسرين، وما أصيب من أهل الحصن سوى ثلاثة رجال إصابات خفيفة محتملة.

وانحدروا من أعلى الشعب المقابل للحصن من غربيه يركب بعضهم بعضاً، وهو موضع صعب المسالك لا يكاد الإنسان يسلكه وهو آمن إلا على مشقة شديدة، وجعلوا العرب على رأس الشعب يحفظونهم من غارة الحصن، وما أيقنوا بسلامة حتى بلغوا إلى محطتهم على أشر قضية يسبون ظفار وأهله، ويتلاومون بينهم، ويلعن بعضهم بعضاً.

فلما تولوا من القتال طلب جماعة من الجند الذين بظفار لحاقهم بعد انحدارهم من رأس الشعب، فمنعهم الشيخ دحروج من ذلك، ولم يساعدهم إليه، وأمر بإغلاق الباب خوفاً من فساد بعضهم أن يخرجوا من الحصن فلا يعودون إليه.

وكان رجل منهم قد خرج وترك سلاحه قبل القتال فلم يَعُدْ، وسمح بسلاحه فخشي منهم ذلك فأمسكهم، وظن أن الغز يعودون للقتال، فأمسوا في محطتهم.

وانتدب الشيخ جماعة ممن يثق به، فانحدروا في الليل، وأمسوا يرمونهم ليلتهم، فلما أصبح نهضوا وهم ملازمون لهم حتى توجهوا أسفل الوادي قاصدين شوابة، فلبثوا بها خمسة أيام.

فلما يئس الشيخ من عودهم للحرب على ظفار أطلق أهل الحصن لقتالهم، والحرب عليهم، وقطع موادهم، وأخذ من يأتيهم من العرب بالإمداد والمنافع.

وما عُلم أن أحداً ممن حولهم من قبائل أرحب وسفيان رماهم بسهم في ليل ولا نهار، ولا ناجزهم الحرب، سوى أهل ظفار، حتى انحدروا إلى الجوف، إلا الأمير حسام الدين القاسم بن إبراهيم بن محمد الحمزي، فإنه غزاهم ليلة إلى محطتهم في شوابة في جماعة، فأمسوا يرمونهم من جانب، وأهل ظفار من جانب آخر.

وكان الإمام عليه السلام قد أمر إلى الشيخ عيسى بن ذعفان البختري – وكان من جملة أنصار الإمام عليه السلام – بإنهاب الزرع، وإحراق الأبيات، وأن يأمر أهلها ومن حولها بالتميل والانحياز إلى رءوس الجبال، فأتى الغز إلى شوابة والبلاد خالية متعطلة، فرغبوا في إدنائه ودخوله في طاعتهم فكره ذلك وامتنع، ولا أراد الاتصال بهم.

ولبثت المحطة المخذولة بشوابة ثلاثة أيام وهم ينتظرون قدوم الشيخ عيسى، . فلما يئسوا منه أخربوا درب شوابة، واجتهد في خرابه أصحابه بنو أسد لإحنٍ متقدمة كانت بينهم، فقضوا أغراضهم، ولم ينظروا في عاقبة أمرهم.

وكانوا قد عمروا دربهم الأسفل في دولة الإمام عليه السلام، وسكنوه بعد خرابه وتعطله منهم سنين متوالية، ولم يقدروا على عمارته حتى ظهرت يد الحق، فلم يرعوا نعمة الله عليهم ولا إحسانه إليهم.

ولما عزم سنقر على القدوم إلى الجوف، حط بموضع يسمى جحدان في أسفل وادي هران، وكان قد اجتمع عنده رهائن كثيرة من وادعة وبني صريم وغيرهم، فأراد إيصالها إلى بيت مساك، فجهز قدر مائة وخمسين فارساً لحفظ الرهائن وإيصالها إلى بيت مساك، فلما صدرت الخيل بالرهائن وصارت بالقرب من ظفار حماه الله تعالى، هبط الشريف الفضل بن علي بن المظفر العباسي العلوي في عصابة قليلة، وكان منهم جماعة في جبل بني زهير وجملتهم تداني الثلاثين، فلما توسطت الخيل بين الفريقين قصدوها جميعاً من الجهتين، فما زالت الحرب بينهم والقتال حتى طردوهم، وعادوا إلى ظفار على أجمل حال.

الثامن: بعض ما قيل من الأشعار في بناء الحصن

لما ابتدأ الإمام عليه السلام في عمارة الحصن المبارك، وعلم المسلمون بذلك فرحوا فرحاً شديداً، وباركوا تلك الخطوة العظيمة من الإمام عليه السلام، وأعلنوا عن فرحهم وسرورهم بمواقفهم الكريمة، التي أظهروا فيها تأييدهم للإمام عليه السلام، ولهجت ألسنهم بالدعاء له، ورفعوا أكفهم، فما ذكر في مجلس أو مقام إلا أثنوا على الإمام عليه السلام حسن نظره، وقوة تدبيره، وحرصه الشديد على سلامة المسلمين من شر عدوهم، ونظم العلماء والشعراء القصائد الشعرية، تفاؤلاً وتيمناً بالعز والنصر والظفر، ونذكر شيئاً من تلك القصائد الشعرية:

[قصيدة العلامة العصيفري]

فمن ذلك: قصيدة العلامة الحسن بن عزوي العصيفري، نذكر منها:

وعـــيس هزنـــا شـــوق عليهـــا إلـــى ســـوح الإمـــام إلـــى ظفـــار
إلـــى تـــاج المكـــارم والمعـــالي إلـــى زاكـــي العناصـــر والنجـــار
ســـليل الطهـــر حيـــدرة المســـمى أبـــي الســـبطين مـــن ســـلفي نـــزار
عمـــرت ذراه بـــين ذرا بكيـــل ولاة المجـــد اربـــاب الفخـــار
وذيبـــين هنالـــك عـــن يمـــين وســـفيان العريضـــة عـــن يســـار
ومرهبـــة لهـــا قـــدم وصـــدق وهـــم فيهـــا كواكبهـــا الـــدراري
وإن كانـــت بكيـــلُ معـــاً خيـــاراً فمرهبـــة الخيـــار مـــن الخيـــار
دعـــا بـــك مســـور ودعـــا حقيـــل معـــا والمعجلـــي إلـــى مســـار
فخـــذها مـــن يـــريم إلـــى تـــريم وواصـــل مـــن ظفـــار إلـــى ظفـــار
لزمنـــا مـــن مودتـــه بحبـــل متـــين غيـــر ذي عقـــد مســـار
فمـــا نخشـــى نوائـــبَ ريـــبِ دهـــرٍ وإن شـــن المغـــار علـــى المغـــار
يصـــم عـــن القبـــيح كـــأن وقـــراً وذاك الـــوقر مـــن قبـــل الوقـــار
وأرعبـــت البنـــاة بمـــا تعـــاني يمينـــك مـــن ملامســـة الحجـــار
إذا مـــا صـــخرة أعيـــت علـــيهم تشـــق بقـــدرة مـــن غيـــر نـــار
عُمِّـــرتَ لمـــا عمـــرت وأي حصـــن يلـــوذ بظلـــه فَـــارٌّ وقـــاري

[قصيدة علي بن نشوان الحميري]

ومن ذلك: قصيد للقاضي العلامة علي بن نشوان الحميري، منها قوله:

فبـــات مياســـر الحيـــين يســـري إلـــى ثربـــان فـــي تلـــك الأكـــام
إلـــى مـــا فـــرط حـــدقان مجيـــزاً بمنقلـــة إلـــى حصـــن الإمـــام

محـــل الـــيمن حيـــث بعـــز ثـــأر ويـــأمن ســـاكنوه أذى الطغـــام
توســـمه إمـــام العصـــر حـــرزاً وحـــرزاً لا يبيـــد علـــى الـــدوام
يلـــوذ المســـلمون بـــه جميعـــا إذا فزعـــوا لـــدى النُّـــوَبِ الجســـام
ألا يـــا بـــرق هجـــت لـــي اشـــتياقا حشـــى الأحشـــاء مـــن لـــذع الغـــرام
وأرقنـــــي وأقلقنـــــي وأذكـــــى بقلبـــي جـــذوة فالقلـــب دامـــي
أَلُحْـــتَ يَمانيـــاً ونأيـــت داراً فكيـــف جرحـــت قلبـــاً بالشـــام
مُعَنَّـــىً فـــي الحيـــاة بحـــب مـــولى كثيـــر الميـــل عـــن طـــرق الأثـــام
لإن أمســـى مقيمـــاً فـــي ظفـــار فـــإن القلـــب فـــي ذاك المقـــام
كلفـــت بـــوده وبرئـــت ممـــن يخالفـــه ويعلـــن بـــالملام
ولـــم لا أرتضـــي مـــولى زكيـــاً نقـــي العـــرض مـــن دنـــس وذام
إمامـــاً مـــن بنـــي الزهـــراء بـــراً تقيـــاً لا يـــرخص فـــي الحـــرام
شـــريف الفعـــل مـــن أصـــل شـــريف كـــريم الـــنفس مـــن نفـــر كـــرام
يعَـــدُّ محمـــداً جـــداً ويعلـــو بحيـــدر مـــن يفـــاخر أو يســـامى
أولئـــك معشـــر شَـــرُفوا وطـــابوا فهـــم أعـــلا الأنـــام لـــدى الأنـــام
يـــزورُ بيـــوتَهم جبريـــلُ دأبـــاً بـــآي الـــوحي والســـور العظـــام
فقـــل مفـــاخريهم لا تلجـــوا فلـــيس يقـــاس خُـــفٌّ بالســـنام
ولا نجـــم السُّـــها فيمـــا علمنـــا يفـــاخر بالضـــيا بـــدر التمـــامِ
فـــداموا كـــابتين لكـــل ضـــد يهينـــون المعانـــد باهتضـــامِ
ودام لنـــا ابـــنُ حمـــزةَ ركـــنَ عـــزٍّ منيعـــاً لا يعـــارض بانهـــدامِ

[قصيدة الشريف يحيى بن مكني العياني]

ومن ذلك: قصيدة عصماء للشريف الأجل يحيى بن مكني بن حمزة بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي عليهم السلام، نذكر منها:

وركب إذا ما الليل حارت ركابه سروا واستهروا مسأدين فساروا

تشكي المطي العنف منهم وأنهم أكلوا عليها بالكلال وجاروا

أمال الكرى أعناقهم فكأنما أديرت عليهم أجمعين عُقارُ

تمطى بهم أجواز كل تنوفة مَهَارى على بَرِّ السُّرَى ومُهَارُ

تقدمت إيعازاً إليهم فقلت والـ ـمطي بأثقال الرحال تُثَارُ

وقد رفع الحادون صوتاً بذكر مَن تُشَدُّ رحالٌ نحوه فيزارُ

سروا يا أمير المؤمنين فقاربت تطير اشتياقاً لو يتم مطارُ

تؤم من المجد المؤثل والعلا مناراً ومن فوق المنار منارُ

وتقصد في حال السُّرَى العَلَمَ الذي تلوح عليه للهداية نارُ

وغايتها منصور آل محمد مظفرها والمستناخ ظفار

فتُلقِي عصا التِّسيار ثَمَّ مريضةٌ لدى ملك ضخم إليه يُسَارُ

هلموا فهاكم من ثنائي ألوكة بها الدُّرُّ منظوم بها ونِثَارُ

وإما مررتم بالرياض فدونكم خذوا غصن ما منه النسيم يمارُ

فأهدوه مولانا الإمام تحية بها الند والعود الرطيب بثار

وطوفوا على ناديه منه بمثل ما يقسم من أرج القسيم نَجَارُ

أسيدنا المنصور والقائم الذي ... له شرفٌ سَامِي السَّنَا وفخارُ

لك الله أما الطرف بعد فراقكم ... فماء وأما القلب بعد فنار

وأما ودادي ما بقيت فخالص ... وإن نزحت أرض وشط مزار

ولولا أمور لم تغب عنك لم يكن ... لقلبي على نار الفراق قرار

وقد ساءني الدهر الخؤون وأدَّني ... فوادحُ منه لا تزال كبارُ

ومن لي على الحالات منك بنظرة ... يكون بها للحاسدين صَغَارُ

ودُمْ وابق في العز العزيز ولا يَزُل ... لنا منك ملجىً صالحٌ ومَجَارُ

ولا زال من آمالنا ورجائنا ... سوابح أطيار إليك تزار

[*قصيدة الإمام عليه السلام في ذكر حرب ظفار ومدح أهلها*]

ومن ذلك: قصيدة للإمام عليه السلام يذكر فيه حرب ظفار، السابق الذكر، ويثني فيها على أصحابه، قال فيها:

ظَفِرَتْ بمدح المادحين ظفَارُ ... لمَا حَمَى عرصاتَها الجبّارُ

جاءت جنودُ الظالمين كأنهَا ... ليلٌ وأنواءُ الحديدِ نهارُ

جيشٌ تَظِلُّ البُلقُ فِي حَجَرَاتِهِ ... خالي المذاهِب أرعَنٌ جَرَّارُ

فيه الأعَارب والأعاجم عن يدٍ ... والأعوَجيّة والقنا الخطَّارُ

والفَارسيّةُ فيه تَرْعُدُ والقِسْـ ... ـيُّ النّبعُ تَضبحُ والخطوبُ كبَارُ

والكُرْد تزحَف كالليُوث وخلفَها ... ملكٌ سَحَائب رَاحَتَيْه غزارُ

فسَمَت ذوائبُها وأعرض عنهم ... منها أشمّ له السّحَابُ إِزارُ

وبها حماةٌ من ذؤَابة هَاشمٍ ... والمسلمون الغُرّ والأنصَارُ

قـــومٌ رأوا أنَّ الجهـــاد فريضَـــةٌ ... فسَـــمَت لهـم هِمَــمٌ بــذاك كبـــارُ
ذَلّ الأنـــام وأُرعِبُـــوا إلا هُـــمُ ... فَالنّـــاس عُبـــدان وهـــم أحْـــرارُ
صَـــبَرُوا علـــى الأرجَـــاف وهـــي كثيـــرة ... فيمَـــا حَكـــاهُ الواحـــد القهـــارُ
جَعَلـوا التَّشَـكُّكَ فِـي خِـلَافِ الحَـقِّ لَا ... غســـلٌ تشـــقق عنـــده الأبشـــارُ
رفضـــوا الـــروَافِض للأئمّـــة واعتضـــوا ... بـــالبِيْض لمَـــا زاغـــت الأبصـــارُ
فهَمَـت علـيهم مِـن سِـحابِ عَـدُوِّهم ... لمَـــا اســـتهلّت ديمـــةٌ مِـــدرارُ
فَاســـتقبلوها بـــالنحُور فَأَقشَـــعَت ... عـــنهم وأَيْمـــان العَـــدُوّ قصـــارُ
فتـــأخَّرُوا عـــنهم ولاعَـــن عفّـــةٍ ... نكَصُـــوا ولكـــن خيفـــةٌ وَفِـــرارُ
لـــو أنهـــم لَبَثُـــوا لكـــان بَـــوَارُهُم ... فِـــي لَبـــثِهم وتَقَضَّـــتِ الأعْمَـــارُ
لكِـــنّهُم جعلُـــوا الفِـــرَارَ وَلِيجَـــةً ... واللهُ لـــيس يَفُوتَـــهُ الفـــرَّارُ
ظلمـــوا بنـــي بنـــت النّبِـــي حقـــوقهم ... وأعَـــانهُمْ فِـــي ذلـــكَ الأَشـــرارُ
لله دَرّ عُصَـــــابَةٍ زيْدِيَّـــــةٍ ... نـــزل العُلـــى فيهـــا وزَال العَـــارُ
راياتهـــا بـــيضٌ ولغـــوُ حـــديثِها ... ذكـــرٌ ومـــدحُ بنـــي النّبـــي شـــعارُ
لاهُـــمّ إنَّ الـــدّينَ دينُـــك فَاصـــطَبِر ... فَـــالحُرّ يَغضَـــبْ والكـــريمُ يَغَـــارُ
ولـــك البهـــا والعـــزُّ والكـــرمُ الـــذي ... منـــه البحـــارُ الخُضـــرُ والأنهـــارُ
يَـــا ربّ كـــم يحصـــي المعـــدّدُ منّـــةً ... مِـــن بعضـــها الأشـــجار والأمْطَـــارُ
فَـــافتح لنـــا فتحـــاً مبينـــاً عَـــاجلاً ... تســـمو بـــه الأسْـــماع والأبْصَـــارُ
يحيـى بـه الـدّينُ الحنيـفُ ويُـنعش الشْـ ... ـــشَرعُ الشـــريفُ وتَمِلـــكُ الأخيـــارُ
فَالنـــاس فِـــي ظلـــم الضّـــلالة والعَمـــى ... لمَـــا قَلَـــوا سُـــبُلَ الهدَايـــة حـــارُوا
قـــد طبّـــق الجهـــلُ العَقـــيمُ عقـــولَهُم ... وعَـــراهم عـــن هجـــرِهِ اســـتكبارُ

لَهُمُ شيوخٌ حُمِّلوا أوزارَهم ... إن ضوعِفَت لمضَلِّلٍ أَوْزارُ

مِن كُلِّ فَدْمٍ فِي النَّديِّ كأنَّهُ ... عجلٌ له بين الجميع خوارُ

لم يحفظوا فينا وَصاةَ مُحَمّدٍ ... صَلّى عليه الواحد الغَفَارُ

هَوِّن عليك فكلُّ خطبٍ هيِّنٌ ... إن لَمْ تُصِبْك لدى الحسابِ النّارُ

أبلغ سراةَ بني عليّ كلِّها ... إن أنْجَدَت أوطانُهُم أو غارُوا

وعَصائباً مَيْمُونةً زَيْدَيَّةً ... نقَضَت عقود نظامها الأمصارُ

أنَّ العَدُوّ مشمِّرٌ عَن ساقِهِ ... ليخوض لُجّاً غُمْرُهُ تَيَّارُ

فَاستَشْعِرُوا الصَّبْر الجميل وأجّجُوا ... ناراً لَهَا بيض السيوف شَرَارُ

وَصِلُوا السّيُوف إذا قصرن بِخَطْوِكُمْ ... والخيلُ تَعثُرُ والوشِيجُ كِسَارُ

وادعُوا بني قحطان أنصَارَ الهُدى ... ونِزارَ تُقْبِلُ يعرُبٌ ونِزارُ

فَالعُجمُ للحَيّيْن غنمٌ باردٌ ... إن أقبلوا وتَمَحصَت أسرارُ

مَا أنتِ يا قحطانُ مِن قحطانَ إنْ ... لَم تغضَبِي كَرَماً وتُحْمَى الدّارُ

كلَّا ولا عدنانُ مِنْ عدنَانَ إن ... خضَعَت وقارَنَهَا الغَدَاةَ فرارُ

صَبْراً فليس القومُ أكفَاءً لَكُمْ ... قَطْعَاً وقد نَطَقَتْ بِهِ الأخبَارُ

أفليسَ أملَاكُ التَّبَابِعِ دَوَّخُوْا ... أرضَ الأعَاجِمِ عنوةً وأبَارُوا

وملوكُ عدنانٍ قَفَوا آثارَهُمْ ... ولَهُمْ بكل بَسيطةٍ آثارُ

مَلكُوا سمَرقَنْدَ وإفريقيّةً ... وسَمَا لَهُنّ على الخليج غُبَارُ

وَرَمَت على رُوْميَّةٍ أَرْوَاقَهَا ... غَضَباً وشُنَّ بِهَا هُنَاكَ مَغَارُ

وَرَدَتْ بِلَادَ السِّندِ تَقرَعُ بالقَنَا ... منها كَتائبُ جَرحُهُنّ جُبَارُ

وَتوقَّلَتْ منها جبالَ نَفُوْسَةٍ ... خُرُقٌ مَعَارجُها قَنىً وشِفَارُ

فَـإِلَى مَتَـى يُغضِـي الكـريمُ علـى القَـذَى تُخلَـــى الـــدّيارُ وتُهتَـــكُ الأســـتَارُ
والقـــومُ قُـــلٌّ فـــيكم ونَجَـــارُهُم دَعْـــرٌ وعُـــودُ قَنَـــاتِهِم خَـــوّارُ
مَـــا يـــومُ ذي قـــارٍ بِغَـــابٍ عـــنكم غَطّـــى وجـــوهَ العُجـــمِ فِيهَـــا القَـــارُ
كـــم وقعـــةٍ لَهُـــم وراءَ النّهـــر فِـــي أبنـــاءِ قُنطـــورٍ لَهَـــا إفطَـــارُ
تركـــت بنـــات التـــرك تُعـــرضُ باللّقـــا سَـــوْمَاً وَلَـــمْ يُنْقَـــدْ بِهَـــا دينـــارُ
هبُّـــوا فقـــد طَـــال المنـــامُ فَإِنَّهَـــا طَخيـــاءُ يُعْقِـــبُ ليلَهَـــا إسْـــفَارُ
والـــرّيحُ عَائِـــدَةٌ علـــيهم عَـــاجِلاً بِوَقـــائِعِ لِوقُـــوعِهِنَّ أُوَارُ
حَتَّـــى أراهُـــم خاضِـــعِيْ أعنـــاقهم رُعْبـــاً علـــيهم ذلَّـــةٌ وصَـــغارُ
ويقـــول أمـــثلهم هُنَـــاك طريقَـــةً يـــا قُـــرب مَـــا فتكـــت بنـــا الأقـــدارُ
يـــا ربِّ أُمّـــةَ صـــالحٍ أهلكتَهـــا فـــي دارهـــا فميـــا جَنَـــاهُ قُـــدارُ
عَقَـــرُوا بِهَـــا العجمَـــا فلـــم تُنظِـــرْهُمُ فَبِمَـــا يَحِـــقُّ لِهـــؤلا الإنظَـــارُ
وأُولَا ضُـــحيً قتلـــوا ابـــن بنـــت نبـــيِّهِم عمـــداً وعَمَّهُـــم لَـــهُ استِبشَـــارُ
فَاصْـــبُبْ علـــيهم سَـــوْط بأسِـــكَ إنَّهُـــم رِجـــسٌ وإِنَّ بقـــاءَهم آصَـــارُ

الفصل الثالث: في الآثار العمرانية

حصن ظفار من المآثر الإسلامية العظيمة التي لا يوجد لها نظير في اليمن، ولكن بدلاً من أن تبقى تلك المآثر، ويحافظ عليها، لتدل على عراقة التراث اليمني وأصالته، كان الوضع بالعكس تماماً، فقد أصبحت تلك المآثر عبارة عن ركام من الأحجار المتساقطة من تلك البنايات الأثرية الفاخرة، أو أطلالاً دارسة لا يبقى منها النزر اليسير من جدرانها، فقد سقطت سقوفها، وتكسرت أخشابها، وخربت جدرانها، وتعطلت بركها وآبارها، ودفنتها الأتربة والحجارة، وسبب إهماله، وعدم الإهتمام به، والتقصير في حفظه، وعدم المبالاة بآثاره هو أنه يعود إلى مفاخر ومآثر أئمة الزيدية عليهم السلام، الذين حرصت الدول الظالمة إلى إزالة كل ما يعنيهم أو يتعلق بتاريخهم، بسبب الحقد الدفين، والعداوة التي لا سبب لها.

فالإمام عليه السلام كما أنه أسس ذلك الحصن المنيع ليكون معقلاً له ولأصحابه، يحتمي ويعتصم به، وتأوي إليه الرعية، حتى لا يُطالوا من قبل الغز الأيوبيين، أو ينالهم عسفهم وجورهم، فقد اتخذه بعد ذلك عاصمة لدولته، ومستقراً لعزه وسلطانه.

فبعد أن أتم بناء السور والخندق، شرع في إعمار واتخاذ لوازم السكنى والبقاء فيه، ليتسنى ذلك لمن أراد العيش فيه، ونذكر منها ما يلي:

الأول: بناء المسجد

قام الإمام عليه السلام بعمارة مسجده الذي بظفار، فشرع في بنائه سنة (٦٠٢)هـ، وهو يعتبر من أهم المساجد الأثرية في اليمن، حيث أنه يمتاز بأرومته، ويحمل من الزخارف المنقوشة على الجدران والأخشاب في السقوف الشيء الكثير، ولكن قد طالتها أيدي العابثين والمخربين.

فقد قامت الطائرات المصرية المساندة والعاضدة للثورة اليمنية عام (١٩٦٢م)، بإطلاق القذائف الصاروخية والقنابل، على المسجد والمشاهد المقدسة، والبيوت المجاورة له، وعلى بقية الآثار الموجودة هناك، حتى هدمت وأسقطت بعضها، وأثرت في إضعاف وتشقق ما سواها، ومن ثمت هرب السكان المتواجدون هناك، وهجروا تلك البقاع، فلم يعد لهم سكن يؤويهم، ولا معقل يحميهم، فسكنوا في ورور وذيبين وما جاورها، ثم تأثرت بعوامل الأمطار والرياح التي أسقطت ما كان باقياً أو قائماً.

وليس مسجد ظفار هو المسجد الوحيد الذي عمره الإمام المنصور بالله عليه السلام، فقد عمر عدة مساجد في عدة مناطق تشبه مسجده بظفار في الهيئة والكيفية، منها مسجد الصومعة بحوث، وكذلك المسجد الجامع بمدينة الزاهر بالجوف –وقد تهدم–، وغيرها.

وقد أسس الإمام المنصور بالله عليه السلام في مسجده هذا مدرسة علمية تخرج منها العلماء المجتهدون، والقضاة والحكام، وبقيت مدرساً للعلوم الشرعية، إلى ما قبل قيام الثورة اليمنية التي دمرت العباد والبلاد، وأماتت العدل وأحيت

الفساد، وجهّلت الناس، ونقضت بنيانهم من الأساس، واستبدلت بالمدارس العلمية التي يتخرج منها العلماء، مدارسَ أخرى يكثر فيها الجهلاء، فقدم عدم العلم وحاملوه، وانتشر الجهل ومشيعوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والمسجد والمشاهد التي في صرحه مغطاة الآن بصفائح الزنك المقوى، لحمايته من تسرب مياه الأمطار على ما تبقى من المسجد وملحقاته، حتى لا تنهار بقية السقوف، وقد تمت تغطيته بالزنك في بداية عام (١٩٨٣م) من قبل هيئة الآثار بالتعاون مع منظمة اليونسكو، تحت إشراف الباحثة الفرنسية (ماريا كراستين دشوت)، والتي تسمت بـ(مريم)، بعد أن نقبوا عن كثير من الآثار التي أصبح مآلها مجهولاً، ولو أنهم جعلوا التكلفة التي وضعوها في الزنك للإصلاح الفعلي لقطعوا مشواراً كبيراً في العمل، ولنالوا الثواب من الله، والثناء من الناس، ولكن:

لهوى النفوس سريرة لا تعلم ... كما حار فيها عالم متكلم

ولعل الله أن يقيض من يقوم بالإصلاح ممن له غيرة وحمية على مآثر اليمن عموماً، أو على مآثر أهل البيت عليهم السلام.

الثاني: تدريج طريق إلى الحصن

من أهم الأعمال التي قام بها الإمام عليه السلام هو تسهيل الوصول إلى الحصن، من خلال تدريج طريق حجرية واسعة، يمكن المرور من خلالها بسهولة، وهي ما نسميها (بالدرج)، ولأن الحصن لم يكن له طريق من قبل، فقد اتخذت له طريق من الجهة القبلية (الجنوبية) من منطقة (ورور)، تم

تدريجها من بداية الجبل وإلى نهايته، وكانت طريقاً سعتها ما يقرب من (٢,٥) متراً، تصعد من خلالها الناس والإبل والخيول، ولكن هذه الطريق قد تضررت، وتهدم أكثرها، بسبب الأمطار، وعدم الإهتمام بإصلاحها، فهذه كانت هي الطريق الوحيدة إلى حصن ظفار.

أما اليوم فقد شقت طريق من عرض الجبل، من الجهة الشمالية، من طريق الإسفلت التي تمر من خارف إلى شوابة، وقبل انقطاع الطريق الإسفلتي، تجد مفرقاً يتجه نحو الجبل، تتمكن السيارة من الصعود منها، تتصل هذه الطريق بمرهبة جنوباً، وتتصل بالطريق الرئيسي، الواصل ما بين صعدة إلى صنعاء، ونقطة الإلتقاء في بلاد بني قيس قبل مدينة خَمِر، وفي أثناء هذه الطريق المعبدة لمرور السيارات، قام بعض المحسنين بشق طريق في شهر شعبان من عام (١٤٤٠)هـ، يتمكن المار من العبور منها بسهولة على قدميه، أو على بعض وسائل المواصلات البرية السهلة، وهي الدارجة النارية (المتر)، سعتها تتراوح ما بين متر ونصف إلى مترين، بسبب وجود بعض الصخرات الكبيرة التي لم تتمكن الأيدي العاملة من تحطيمها.

ثم قام بعض الإخوة المهتمين بالمتابعة للجهات المختصة، لتوسيع تلك الطريق بحيث تتمكن السيارة الصغيرة من العبور فيها بسهولة، وبعد ستة أشهر تقريباً، وذلك في محرم من عام (١٤٤١)هـ، قامت إدارة الأوقاف في محافظة عمران، بتنفيذ ذلك وشق الطريق وتوسيعها، ورُصفت بعض الطريق بالأحجار.

ثم بدأ العمل في الدرجة التي يصعد منها إلى قمة ظفار، بجهود جماعة من المحسنين وأهل الخير –كتب الله أجرهم – بالتعاون مع الأوقاف.

وقد كان الزائر يعاني من مشقة الصعود إلى قمة الجبل بسبب وعورة الطريق، والبعض يترك الزيارة للأئمة عليهم السلام بسبب صعوبة الصعود.

أما اليوم – ولله الحمد والمنة– فقد أصبحت الزيارة سهلة، والطريق معبدة، وفي أثناء كتابة هذه الأسطر – وهو يوم الثلاثاء، الموافق ٢٩/رجب/١٤٤١هـ– والعمل هناك جار على قدم وساق.

فجزى اللهُ كل من عمل أو سعى أو تعاون في ذلك خير الجزاء، وأصلح أحواله في الدنيا والآخرة.

الثالث: بناء البرك لحجز الماء

من الأعمال الشاقة أيضاً: حفر وعمارة البرك الواسعة التي تحتفظ بمياه الأمطار، لأن الماء إذا وجد وجدت الحياة، وإذا عدم انعدمت الحياة، والناس يبحثون عن الماء في كل مكان، ولما كان الحصن في منطقة جبلية مرتفعة، فالطريق الوحيدة إلى العثور على الماء هي الحرص على مياه الأمطار والسيول من الضياع، وهذا يتطلب أعمالاً شاقة، تتمثل فيما يلي:

الأول: اتخاذ البرك الواسعة والمتوسطة والصغيرة كي تجتمع فيها السيول النازلة من المرتفعات.

الثاني: تعديل مجاري السيول، باتخاذ طرق وحواجز وسواقي تجري المياه من خلالها إلى البرك.

الثالث: اتخاذ الدرج في البرك الواسعة العميقة ليتمكن الناس من استخدام الماء إذا قل في البركة، بأن يتم النزول من خلالها لنزع الماء، لسلامة المستخدم من الوقوع في الماء أو الغرق فيه.

وقد بنى الإمام عليه السلام عدداً من البرك، في أماكن متعددة من الحصن، منها الواسعة التي كانت تكفي الناس من الموسم إلى الموسم، وبعضها كانت تكفي عاماً كاملاً في أوقات الجدب والقحط، كالبركة التي بجوار المسجد، والبركة التي تحت جبل القاهرة، خلف مسجد الإمام في الجهة الجنوبية الشرقية، بجوار أحد المساجد التي قد تهدمت، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

والبرك المتوسطة كالبركة التي بجوار المسجد المذكور أيضاً، وغيرها.

والبرك الصغيرة، وهي كثيرة، وقد دفن أكثرها بالحجارة والأتربة، ولم تعد معروفة إلا ما بقي من آثار بعضها عندما تتأمل فيها.

الرابع: سقايات الشرب

كما أن البرك التي تقدم ذكرها تستخدم مياهها في أغراض متعددة، فقد اهتم الإمام عليه السلام بوضع سقايات للشرب بحيث يجتمع فيها ماء الأمطار من الأماكن الأكثر نظافة ونقاوة من غيرها، وهي مبنية ومقضضة من الداخل ومسقوفة.

فمنها: السقاية التي في جامع الإمام عليه السلام تحت المئذنة.

ومنها: سقاية كبيرة في قلعة القاهرة، وهي الجبل الذي في قبلة جامع الإمام عليه السلام، يجتمع فيها ماء كثير، وهي مدرجة إلى أسفلها بدرج حجرية.

وقد احتل ظفار مكانة كبيرة في قلب الإمام المنصور بالله عليه السلام، فكان يحبها حباً شديداً، ويرغب في البقاء بها أيام صلحه مع الغز الأيوبيين، ويهتم ببنائه وعمارته اهتماماً كبيراً، ولم يزل عليه السلام يشيد بناءه، ويقوي حصونه إلى أن توفي عليه السلام.

وروى ابن مظفر في (كتاب الترجمان) عن الفقيه عمران بن الحسن الشتوي أن الإمام المنصور بالله عليه السلام وقف عرصة ظفار، وجعلها كأرض مكة.

وقد أوصى عليه السلام في وصاياه بإصلاح المناهل التي في ظفار.

الفصل الرابع: في بعض من تولى ظفاراً

ذكرنا فيما سبق أن الإمام المنصور بالله عليه السلام، كان قد ولى على ظفار الشريف يحيى بن حمزة الحمزي – وليس هو بأخيه عماد الدين بل هو رجل آخر– ثم عزله وولى عليها الشيخ دحروج بن مقبل، كما تقدم.

ثم ولى الأمير الشريف العالم نظام الدين الفضل بن علي بن المظفر العباسي العلوي، وبقي والياً عليها إلى وفاة الإمام عليه السلام.

وبعد وفاة الإمام المنصور بالله عليه السلام، بقي ظفار تحت سيطرة أولاد الإمام عليه السلام.

فأولهم الأمير المحتسب الناصر محمد بن الإمام المنصور بالله إلى أن توفي سنة (٦٢٣)هـ.

ثم أخوه الأمير علي بن الإمام المنصور بالله إلى أن توفي سنة (٦٤٠)هـ.

ثم أخوه الأمير أحمد بن الإمام إلى أن توفي سنة (٦٥٦)هـ.

ثم أخوهم الأمير داوود بن الإمام إلى أن توفي سنة (٦٨٩)هـ.

الفصل الخامس

في من دفن بظفار من العلماء والمشاهير

بطبيعة الحال فإن المنطقة التي يسكنها الأئمة والعلماء، وتقام فيها المدارس العلمية، فإنه يقصدها الطلبة والعلماء والزوار من كل النواحي، ويموت فيها الكثير من العلماء والزوار وغيرهم من المسلمين.

ولما كانت ظفار منطقة آهلة بالسكان منذ أن عمرها الإمام المنصور بالله عليه السلام، واتخذها عاصمة لدولته، وأنشأ فيها مدرسة علمية، وكان يتردد إليها بين الفينة والأخرى، وأوصى عليه السلام بأن يدفن فيها، وبعد ذلك نقل قبره إليها، واستقر فيها أولاده عليه السلام بعده، وسكنها بيوت من أهل العلم، ولم يزل الأئمة والعلماء بعده عليه السلام يترددون إليها إما للسكنى والبقاء، وإما للزيارة والتبرك بالإمام عليه السلام، ولم تزل المدرسة العلمية فيها قائمة، ومسجدها عامراً، إلى أن قامت الثورة المشؤومة، فعطلت المدارس والمساجد، وهدمت الحصون والمعاهد، فالحكم الله والموعد القيامة، وإلى الله ترجع الأمور، فقد كثرت فيها المقابر، ممن عرفوا وممن لم يعرفوا.

ففي ظفار مقابر تضم عدداً كبيراً من العلماء والأولياء والصالحين، وسائر المسلمين، وكثرة القبور تنبئ وتدل على كثرة الساكنين، وطول المدة في السكنى، لاسيما عندما تختلف تواريخ موتهم، ممتدة على طول القرون السالفة

من بعد عمارة الحصن وسكناه، ونذكر المقابر على حسب الإمكان، على جهة الاختصار، ومن تمكنا من معرفته ممن دفن بها:

فأقول وبالله التوفيق:

الأول: المقابر التي حواه المشهد المنصوري

لقد ضم المشهد المنصوري المقدس عدداً من القبور، لعدد من مشاهير العلماء، الذين قبروا بجوار الإمام المنصور بالله عليه السلام تبركاً به، وتيمناً بمجاورته.

وقد اشتمل المشهد المنصوري على قبتين ومقبرة:

القبة الأولى

وهي التي مقابل الباب الجنوبي، وهي في صرح المسجد، وهو عبارة عن مبنى مربع الشكل طوله من الخارج (٥,٨٥م) تقريباً، وتعلوه قبة، ترتفع فوقه بحوالي (١,٤٠م)، و ارتفاعها (٥,٧٥م) تقريباً، وكان للقبة ثلاثة مداخل:

الأول: الباب الذي في الجهة الجنوبية، وهو بعرض (٩٥سم)، وارتفاع (٢,١٠م)، وهو باب ذو مصراعين من الخشب، وهو اليوم أشبه ما يكون بالمنتهي.

الثاني: الباب الذي في الجهة الشرقية، وهو بعرض(١م)، وارتفاع (٢,١٠م)، وهو باب ذو مصراعين من الخشب أيضاً، وهو اليوم متكسر ومنتهي.

فهذان المدخلان لا يزالان مفتوحين.

وأما الثالث: فكان في الطرف الشمالي للجدار الغربي وهو يقابل الباب الشرقي، وهذا الباب مسدود بأحجار ملفقة، تشعر بأنه سُدّ في فترة قريبة.

وكانت القبة مزخرفة بزخارف جميلة، تنبيء عن الفن المعماري في ذلك الزمن.

قال الأستاذ علي سعيد سيف –المدرس المساعد في قسم الآثار بجامعة صنعاء– في كتابه (الأضرحة في اليمن)، متحدثاً عن بعض تلك الزخارف:

ولقد عمد المعمار إلى تزيين واجهات الضريح – أي القبة – بدخلات معقدة بعقود مدببة على هيئة المحاريب، وعددها في كل واجهة ثلاثة دخلات، وهي بارتفاع واحد بشكل متشابه، وهذه العقود ترتكز على أعمدة مندمجة تتكون من قاعدة ويدان وتاج، ولقد اتخذت المداخل فتحاتها من هذه الدخلات دون أن تغير في شكلها، كما زينت عقود الدخلات وطاقياتها بالزخارف الهندسية التي غلب عليها الشكل السداسي أحياناً والمربع، وربما كانت بعض هذه الأشكال مزينة بقطع من بلاطات القاشاني التي لم يصلنا فيه شيء.

هذا وينتهي الضريح من الأعلى بإفريز يبرز قليلاً عن سمت الجدار على شكل مقرنصات من صف واحد، تشكلت من الآجر بحيث عمل قطعة الآجر على زاويتها، وبرزت تلك الزاوية إلى الخارج مما شكل مثلثاً كَوّن مقرنصاً بسيطاً.

ويتوج الضريح من الأعلى قبة نصف كروية بشكل منتظم تظهر للمشاهد وكأنها كرة قسمت نصفين، وهي تدل على مدى مهارة المعمار الذي شيد

هذا الضريح، كما عمد المعمار إلى عمل فتحات في القبة ليتم إدخال الضوء إلى الداخل، وغطيت تلك الفتحات بالقمريات، حتى تكسر حدة الضوء وتضفي على الضريح ضوءً خافتاً يضفي بعضاً من الرهبة والإجلال في داخله، وبلغت عدد الفتحات ثمان اتخذت الشكل المستطيل.

قلت: هذه الزخارف لم تعد واضحة حيث قد غطيت بطبقات من النورة، وبالدخان المتصاعد من لهب الشمع وغيره، وكانت الفتحات التي في القبة قد سدت بصفائح من الأحجار، وعندما أعيد ترميم القبة من الخارج أثناء شق الطريق في شعبان سنة (١٤٤٠)هـ، أعيد فتحها لينفذ الضوء منها إلى القبة، وكانت القبة قد تشققت وتأثرت من الخارج والداخل.

ثم قال: ويتم الدخول إلى قاعة الضريح -أي القبة- عن طريق أحد مدخليه المفتوحين، حيث يفضيان إلى قاعة مربعة الشكل طول ضلعها (٤,٧٠م)، وينصف جدارها الشمالي حنية بسيطة اتخذت شكل محراب، عرضها (٧٥سم)، وارتفاعها (١,٧٠م)، وعمقها (١٠سم)، وترتفع عن الأرض بحوالي (٤٠سم) يُتوجها طاقية محارية الشكل بعقد مدبب. إلى آخر كلامه.

ترجمة مختصرة للإمام عليه السلام

وهذه القبة هي التي تضم جسد الإمام الأعظم الكبير، والبحر الخضم الغزير، والبدر الأتم المنير، ذي الفضائل المأثورة، والكرامات المشهورة، والوقائع المذكورة، البحر الذي لا يوقف له على ساحل، صدر الأماثل، ورب الفضائل، المجدد للدين، والقائم بإحياء شريعة سيد المرسلين، المحيي للشريعة، والمميت للبدع

الشنيعة، والرافع لراية الشيعة الرفيعة، المثبت قواعد الزيدية، والمفني أعدائهم من المطرفية، وجميع الضلال من البرية، من أرباب الفرق الغوية، المنصور بالله أمير المؤمنين، أبي محمد عبد الله بن حمزة الجواد بن سليمان الرضي بن حمزة النجيب بن علي العالم بن حمزة النفس الزكية بن أبي هاشم الحسن الإمام الرضا بن عبد الرحمن الفاضل بن يحيى نجم آل الرسول بن عبد الله العالم بن الحسين الحافظ بن القاسم ترجمان الدين بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن علي الوصي أمير المؤمنين بن أبي طالب عليهم صلوات ربّ العالمين.

وهو أشهر من أن يذكر، وأعرف من أن يعرف أو يوصف، فقد امتلأت بذكره الأوراق، وشاع ذكره في الآفاق، ولا يمكن لنا أن نوفيه حقه في عدد من السطور، وقد ألفت له سيرة عظيمة في خمسة مجلدات، طبع منها الجزء الأول حديثاً، والثاني -أو الثالث- والرابع طبعا متقدمين، ولا زال الجزء الثاني والخامس مفقودين - أو الجزء الرابع فقط-، وله سيرة مختصرة في آخر كتاب الحدائق الوردية للفقيه العلامة حميد بن أحمد المحلي، وترجم له في سيرة أخرى شيخه وتلميذه الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن الوليد القرشي العبشمي أسماها الدر المنثور في فضائل الإمام المنصور، وقد ترجمت له ترجمة موسعة في كتيب اسمه (القول المشهور في ترجمة الإمام المنصور)، وأوردت أغلبه في مقدمات كتبه التي قمت بتحقيقها.

ولكن نذكر هنا ما لا بد منه:

مولده عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر – أي في ليلة الحادي والعشرين– سنة (٥٦١)هـ، بقرية ((عيشان)) من ظاهر همدان.

نشأ عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وتربى في حجور الطاهرات، ونشأ مقتدياً بالأخيار من الآباء والأمهات، في حجر والده حمزة بن سليمان الذي كان من فضلاء أهل البيت في عصره، نشأ في بيت العلم والزهد والورع والعبادة والكرم والشجاعة، فأخذ من ذلك الضياء قَبَساً، ومن تلك المكارم غرساً، مع ما وهب الله له من مواهبه السنية، وعطاياه الهنية، من الفطنة والذكاء، والحفظ والتقى، لم يشتغل في صباه باللعب، ولم يمل إلى اللهو والطرب.

كان عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ طويل القامة، تام الخلق، دُرِّي اللون، حديد البصر حدة مفرطة، أبلج [نقاوة بين الحاجبين] كث اللحية، كأن شيبها قصب الفضة، صادق الحدس، قوي الفراسة، كثير الحفظ، فصحياً بليغاً، شاعراً مفلقاً، شجاعاً بطلاً، يخوض غمرات الحتوف، ويضرب بسيفه بين الصفوف، وقائعه تشهد بشجاعته، ومواقفه تبين صدق بسالته، يقذف بنفسه في مقدمات الحروب، وترجف لهيبته القلوب، شأنه شأن آباءه المطهرين، وسلفه الأكرمين، في نشر الدين، وإطفاء بدع المبتدعين.

قام بدعاء الناس إلى طاعة الله تعالى وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الظالمين وإظهار كلمة الحق ورفع الفساد، في سنة (٥٨٣)هـ، فأجابه أهل الجوفين كافة، فبايعهم ((للرضى من آل محمد))، لأنه كان طامعاً في قيام الأمير الكبير شمس الدين شيخ آل الرسول يحيى بن أحمد؛ بل كل

الخلق طامعون فيه، وكان الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ حريصاً مجتهداً على أن يكون من أنصاره، فهذه هي الدعوة الأولى الخاصة، التي قام بها عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ احتساباً وانتظاراً لقائم الآل.

ثم قام بالدعوة العامة، فكان له عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بيعتان:.

الأولى:. في ذي القعدة سنة (٥٩٣)هـ من الجوف، ثم توجه إلى دار معين من أعمال صعدة فأقام بها أربعة أشهر تنقص أياماً، اجتمع إليه فيها العلماء وأورد كل منهم سؤاله وامتحانه، وكانوا نحواً من أربعمائة عالم وفاضل وشريف، فوجدوه بحراً لا ساحل له، واعترفوا له بالفضل والسبق.

والثانية:. يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول سنة (٥٩٤)هـ، قال الإمام الحسن بن بدر الدين:

« وكانت دعوته بعد أن أحرز خصال الكمال، ونال منها أشرف منال، وكان معروفاً بالنشأة الطاهرة، والعلوم الباهرة، والورع المعروف، والكرم الموصوف، والشرف والسخاء والنجدة والوفاء، فاجتمع لاختباره علماء عصره، وسادات وقته، من الأمراء والأشراف، والقضاة والفقهاء وغيرهم من المسلمين، فناظروا في جميع الفنون، وامتحنوه أشد الامتحان حتى إن عالماً واحداً سأله عن خمسة آلاف مسألة في الأصول والفروع علوم القرآن والأخبار، وأجابه عنه عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بأحسن جواب.

فلما رأى العلماء وسمعوا من علمه ما شهد له العيان، وينطق به الامتحان، ويعجز عنه أرباب البيان سمعوا له وأطاعوا، وأجابوا واتبعوا، وكانت البيعة له عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ يوم الجمعة لثلاث عشر من ربيع الأول سنة (٥٩٤)هـ.

ولم يزل الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ خافضاً بحسامه وجوده المعتدين، رافعاً ببيانه فرائض رب العالمين، حتى قبضه الله عز وجل إليه فجر يوم الخميس الثاني عشر من شهر محرم الحرام سنة (٦١٤)هـ، وعمره اثنان وخمسون سنة وثمانية أشهر واثنتان وعشرون ليلة، وقبر أولاً في كوكبان، ثم نقل ثانياً إلى حصن بُكُر بعد وفاته بيوم أو أيام قليلة، ثم نقل ثالثاً إلى ظفار، بعد سنتين وخمسة أشهر تقريباً، في السابع من جماد الآخرة سنة (٦١٧)هـ، ومشهده بها مشهور مزور.

وكانت مدة إمامته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ تسعة عشر عاماً وتسعة أشهر وتسعة وعشرين يوماً.

أولاده عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ:

كان له عليه السلام من الأولاد الذكور ستة عشر ولداً، ومن الإناث عشر.

محمد، وأمه دنيا بنت قاسم، وكانت عند الإمام بمنزلة وتوفيت سنة (٦٠٠)هـ.

وأحمد وعلي، وأمهما فاطمة بنت يحيى محمد الأشل من ولد الهادي إلى الحق عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، وعلي وضعت به أمه سنة (٦٠٦)هـ، في شهر رجب يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة من رجب.

وجعفر وإدريس أمه منعة بنت السلطان الفضل بن علي بن حاتم ودرج صغيراً.

وحمزة درج صغيراً، وإبراهيم، وسليمان، والحسن، وموسى، ويحيى، والقاسم، وفضل درج صغيراً، وجعفر وعيسى لا عقب لهما، وداود، وحسين درج صغيراً.

وله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ إلى أبنائه الكثير من القصائد الشعرية يحثهم فيها على طلب العلم وعلى الجهاد في سبيل الله والقيام بأمره، وهي مذكورة في ديوانه عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ.

وحكى الفقيه حميد في الحدائق قال:«أخبرنا السلطان الفاضل الحسن بن إسماعيل قال: سمعت وأنا في داري في ظفار كلاماً في أول الليل بعد وفاة المنصور عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ قبل أن نعلم بموته وكرره قائله حتى حفظته فسمعته يقول: «أبا محمد أنت القمر الزاهر، وأنت الربيع الماطر، وأنت الأسد الخادر، وأنت البحر الزاخر، وأنت من القمر نوره وضياؤه، ومن الشمس حسنه وبهاؤه، ومن الأسد بأسه ومضاؤه» ثم أتى الخبر بعد ذلك بوفاة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في كوكبان.

القبة الثانية

وهي في الجهة الشرقية من قبة الإمام المنصور بالله عليه السلام، تقع في الجهة الجنوبية الشرقي لصرح جامع الإمام عليه السلام، على يمين الداخل من الباب الجنوبي.

قال في كتاب الأضرحة في اليمن:

الضريح –أي القبة– عبارة عن بناء مربع الشكل طول ضلعه من الخارج (٦,١٠م)، وبارتفاع يقارب الطول، زين من الخارج بدخلات على هيئة محاريب، توجت بعقود نصف دائرية، أقيمت على أعمدة مندمجة، وذلك بواقع حنيتين بكل جدار، إلى جانب طاقيات صغيرة مضلعة بجانب كل حنية.

هذا وينتهي الضريح من الأعلى بصف من المقرنصات المعمولة من الآجر، وذلك بإبراز زاوية الآجر إلى الخارج، شَكّلَت بذلك مقرنصاً مثلثاً، يعلوها إفريز يبرز قليلاً عن سمت الجدار بشكل طنفا، بينما يغطي الضريح من الأعلى قبة نصف كروية أقيمت على مثمن من الخارج – ناصية–، فُتح في كل ضلع منها نافذة على شكل مستطيل، مهمتها إدخال الضوء إلى داخل الضريح.

وطريقة بناء الأضرحة متشابه فقد عمد المعمار في بنائهما إلى استخدام الحجارة في الجدران، بينما استخدام الآجر في بناء منطقة الانتقال والقبة والمقرنصات، زين الضريحان بصف من المقرنصات، أجاد المعمار في عملية تكعيب المبنى حيث تساوت أبعاده الثلاثة – الطول والعرض والارتفاع –، عمد المعمار إلى عمل حنايا ركنية مفصصة، تشبه حنايا ضريح المنصور.

أما الزخارف: فقد تركزت الزخارف في منطقة الانتقال، وقد نُفِّذَت تلك الزخارف على الجص سواء الكتابية منها أو الزخرفية وهي على النحو الآتي:

الزخارف الكتابية: تضمنت الكتابات أشرطة تدور حول الجدران أسفل الحنايا الركنية، بواقع شريطين إلى جانب أشرطة كتابية بالخط الكوفي تزين واجهات عقود الحنايا، وشريط آخر يزين المنطقة المثمنة، نفذت بالحفر البارز.

وينص الأسفل منها على: بسم الله الرحمن الرحيم

أمر بعمارة هذا المشهد المقدس، الأمير الأجل، الأوحد المعظم، الأسد الباسل، والحاسم الفاصل، والمناضل الهزبر الباسل، ونظام الملة النبوية، ومحسن العصابة الحمزية العظام، وسماء الكرام الطاهرة، ومحرز الأوائل والأواخر،.......... والمجدين رجال الدنيا والدين، وسلالة أمير المؤمنين، أبي حمزة سليمان بن إبراهيم بن حمزة بن سليمان، طول الله مدته، ومكن بسطته، وأعلى درجته.

أما الشريط العلوي فنص على: بسم الله الرحمن الرحيم

مما عمر في الدولة النبوية العلوية، الفاطمية الحسنية، الحمزية الإمامية، المنصورية المتوكلية الشمسية، بأمر شمس الدنيا والدين، منبر الإسلام والمسلمين، أبي محمد أحمد بن أمير المؤمنين خلد الله سلطانه.

ومما كتب على اللوح الذي فوق تابوته:

هذا قبر مولانا الأمير الناصر لدين الله، محمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

وكان مولده ببراقش لتسعة أيام داخلة في ذي القعدة من سنة اثنين وتسعين وخمسمائة، ومدة دولته عشر سنين وشهر، وكانت وفاته بحوث

في الليلة التي يسفر عنها نهار الاثنين لتسعة أيام في شهر الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة.

وقال عليه السلام بالقرب من وفاته:

لعمري لإن ضاقت بذنبي فرائض لعفو الذي سوى السموات أوسع
جزعت وتلك ذنوبي لمثلها يراع أخو الحلم اللبيب فيجزع
وأفزعني أني إلى الله صائر وكل امرئ يوماً إلى الله يرجع
فكيف اعتذاري يوم ألقى صحيفتي مضمنة ما كنت بالأمس أصنع

إلى آخر ما ذكره صاحب كتاب الأضرحة في اليمن، مما لم يتمكن من قرآءته.

وللأسف الشديد أن هذه القبة الشريفة معرضة للسقوط، فقد تشققت جوانبها من الداخل والخارج، وتساقطت زخارفها، ووزارة الأوقاف والآثار والقائمون على أوقاف الإمام المنصور بالله عليه السلام لا يلتفتون إليها، ولا يهتمون بها، وإنما همهم أن يحصلوا لهم ما يضمن عيشهم، ويبقيهم على مناصبهم، بلا مبالاة ولا اهتمام، فلا أمانة العمل دفعت بهم إلى الإصلاح، ولا الحرص على الآثار حرك هممهم للحفاظ عليها، بل إذا قام أحد المحسنين محاولاً للترميم والإصلاح، أصدروا الأوامر لإيقافه، وأرسلوا الجنود والعساكر لإرهابه وإرجافه، وعمموا في الجهات الحكومية من أمن وشرطة ومدير ناحية وغيرهم لسرعة ردعه وإزعاجه، فلا هم قاموا بتلك الإصلاحات والأعمال، ولا هم تركوا لغيرهم المجال.

فبالله عليك أيها القارئ الكريم أي الفريقين أحرص هل من يقوم بالعمل بدافع الدين والأجر والثواب والحفاظ على مآثر الأئمة، والآثار اليمنية، أم

من يتولى منصب تلك الأعمال، ولا يلقي لها بالاً، ولا يرفع لها رأساً، بل يوقف مَن يحاول ترميمها وإصلاحها، مدعياً شبهاً واهية، وأعذاراً باردة، لا يقبلها عاقل، ولا يصدقها جاهل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فعسى الله أن يهيئ لها من يقوم بإصلاحها، وأن يزيل ويهلك من يسعى إلى خراب مآثر أهل البيت عليهم السلام.

ترجمة الأمير محمد بن الإمام المنصور بالله

وفي هذه القبة قبران:

التابوت يحتوي على: قبر الأمير المحتسب الناصر لدين الله محمد بن الإمام المنصور بالله عليهما السلام.

مولده ببراقش لتسعة أيام داخلة في ذي القعدة من سنة (٥٩٢)هـ.

ودعا لنفسه من محطة (كنن) في خولان الطيال، بعد وفاة أبيه المنصور بالله، سنة (٦١٤)هـ، وكان له من رباطة الجأش وثبات القلب عند منازلة الأقران، ومجاولة الفرسان ما هو خليق بمثله، وكان فصيحاً بليغاً مفلقاً، ومال إلى جنابه كثير من العلماء، وبايعه فريق من المشهورين منهم: الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلي الهمداني الوادعي، صاحب الحدائق الوردية، ومحاسن الأزهار، وابن أبي الفتح الصنعاني، وعمران بن الحسن الشتوي وغيرهم، وأخذ في الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله.

وجرت بينه وبين الغز الأيوبيين معركة مشهورة، ثبت فيها معه إخوانه وبنو عمومته وعدد من مواليهم وأنصارهم، وكان فيها هزيمة الغز سنة (٦١٧)هـ.

كما جرت بينه وبين الدولة الرسولية –دولة بني رسول– بقيادة نور الدين الحسن بن علي بن رسول الوقعة المشهورة فِي صنعاء في منطقة عصر، وكان جيشه فيها أربعمائة فارس، وأربعة آلاف راجل، انهزم على أثرها إلى منطقة حوث، حيث ابتداءه المرض الذي توفي منه هنالك بعدها بمدة، بعد أن توسل إلى الله إن كان قد قبل عمله أن يقبض روحه، وكانت وفاته بحوث في الليلة التي يسفر عنها نهار الاثنين، يوم عرفة التاسع من شهر الحجة، سنة (٦٢٣)هـ.

وكانت مدة دولته عشر سنين وشهراً، عمره اثنان وثلاثون عاماً.

وكانت وفاته بحوث، ونقل جثمانه إلى ظفار، ودفن في المشهد المذكور.

ترجمة داوود بن الإمام المنصور بالله

وبجواره: قبر أخيه الأمير داوود بن الإمام المنصور بالله(ع).

وهو الذي ينسب إليه ظفار، ويقال (ظفار داوود).

وقد بقي والياً على ظفار وما والاها قرابة عشر سنين.

وكان من الأبطال المشهورين، والفرسان المعدودين، ويقال بأنه غزا إلى قريب العراق، وتوفي سنة (٦٨٩)هـ.

القبور التي على باب القبة الجنوبي

وأما القبور التي بين القبتين فهي كما يلي:

الأول: القبور التي على يمين الداخل من الباب الجنوبي للمسجد:

وهي التي خلف قبة الإمام المنصور بالله عليه السلام إلى جهة الجنوب:

فأول القبور إلى القبة على يمين الداخل، وهو أول القبور إلى جهة القبلة، هو:

المرتضى بن سُراهنك

هو السيد الشريف الطاهر، العالم الفاضل المهاجر، كريم الأجداد والآباء، شرف الدين، أبي طالب، المرتضى بن سُرَاهِنْك – بالسين المهملة– بن محمد بن أبي زيد يحيى بن علي [بن زيد بن علي] بن سُراهنك بن حمزة بن الحسن [بن الحسين] بن علي المرعشي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الحليم بن الحسين الأصغر المحدث بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

مولده سنة (٥٥٩)هـ، كما ذكره في اللوح المكتوب على قبره.

وهو الشريف الحسيني الذي قدم من الجيل والديلم إلى اليمن وافداً ومهاجراً إلى الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، مجيباً لدعوته، ومتجرداً للجهاد بين يديه، فوافى ديار اليمن في شهر ربيع الأول من سنة (٦١٤)هـ، وكان الإمام قد توفي في شهر محرم من تلك السنة؛ فأخذ عنه أولاد المنصور بالله وشيعته كتاب نهج البلاغة في كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وزوجه أبناء الإمام أختهم زينب بنت الإمام، وأقام بظفار دار هجرته إلى أن توفي يوم الجمعة لأربع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة (٦٤٢)هـ.

ويليه جنوباً، خلفه مباشرة، بلا فاصل، قبر:

الأمير سليمان بن الإمام المنصور بالله

هو الأمير الفاضل الأجل، العالم المجاهد البطل، سليل أمير المؤمنين، سليمان بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة.

وأمه أم ولد تركية.

مولده سنة (٦٠٤)هـ، ولوالده الإمام المنصور بالله عليه السلام عليه السلام قصيدة فيه يحثه على مكارم الأخلاق، والتحلي بحميد الخلال، قال فيه:

سُليمَانُ بيتَاكَ من هَاشِمٍ ... ومن آلِ قُنْطُورِ بَيتَا شَرَفْ[١]

فَيَا ابنَ الأئمَّةِ وابنَ المُلُو ... كِ أُولَى للهدى وأُولَى للتَّرَفْ

لَقَد حل بيتَاكَ فِي شَامِخٍ ... ترى تَحتَهُ العُصمَ تَرقَى الشَّعَفْ

مُنِيفٍ يُرَى الطَّرفُ مِن دُونِهِ ... حسيراً يَكَادُ لَهُ يُختَطَفْ

تَرقَّى إليه خِفَافُ الطُّيُو ... رِ تَرَقِّي الشُّيُوخِ عَوَالِي الغُرَفْ

فَيَا ليتَ شعريَ هَل تَضرِبَنْ ... بسهمِ الوِرَاثَةِ فيمن سَلَفْ

وتُضْحِي لأعمَامِكَ الأطيبيـ ... ـن وأخوالِك الصِّيدِ نعمَ الخَلَفْ

تُجِيبُ المُضَافَ وتَحْمِي الضِّعَا ... فَ وترضَى الكفافَ وتَأبَى السَّرَفْ

وتستخدمُ السيفَ عند الصِّدَا ... مِ إذا خانَ مُطَّرِدٌ وانقَصَفْ

وَتَحمِي الضِّرَابَ إذا لَم يُجَبْ ... مُثَوِّبُ تابِعِهَا إن هَتَفْ

فَتُثنِي الرُّؤوسَ وقد سَامَحَت ... وَلَولَاكَ أحنَى عليها التَّلَفْ

---

[١] آل قنطور: اسم للترك، نسبة إلى جارية لإبراهيم عليه السلام من نسلها الترك اسمها قنطوراء.

وَتُوطِي الجَوَادَ رِقَابَ الجِيَا … دِ وشُمَّ الأنوفِ وَهَامَ الجِيَفْ

وتُظهِرُ عزماً يَرُدُّ الأسُو … دَ غداةَ اللقَاءِ كَشَاءِ النَّجَفْ[٢]

وَتُعطِي السَّؤولَ وتَعصي العَذُو … لَ وتَثنِي الحُسَامَ كليلَ الطَّرَفْ[٣]

وَتَحفَظُ دِينَ مَلِيكِ العِبَا … دِ وتلفِقُ من أمرِهِ ما اختَلَفْ

وَجَارُكَ تُنْزِلُهُ بِالسِّمَا … كِ إذَا حلَّ جارُ عِداكَ الخَسَفْ[٤]

وَتلمَعُ نُوراً يُجَلِّي الظَّلَا … مَ إذا غاب بَدرُ الدُّجَى أو خَسَفْ[٥]

وَتَفصِلُ من مشكلات العُلُو … مِ دَقَائِقَهَا حينَ تَخشَى الجَنَفْ[٦]

فَلَيسَ الأشَايبُ مثلَ الصَّمِيـ … ـمِ ولا مُنتَقَى التَّمر مثل الحَسَفْ[٧]

وَهَل تُزهِرنَّ إذا اعْلَنكَستْ … كبدرٍ يجلِّي ظلامَ السُّدَفْ[٨]

إذَا طرقَ الضيفُ بعد العِشَا … ءِ وقد طَالَ ليلُهُم وانتَصَفْ

---

[٢] النَّجَفُ محرَّكةً: مكانٌ لا يَعْلُوه الماءُ، مُسْتَطِيلٌ مُنْقَادٌ، ويكونُ في بَطْنِ الوادي، وقد يكونُ ببَطْن من الأرضِ.

[٣] الطرف: هنا الحد، لأن حد السيف في طرفه.

[٤] السماك: النجم العالي. والخسف: هنا معناه: العمق من ظاهر الأرض.

[٥] في البيتين جناس تام في كلمتي الخسف، فالأول: بمعنى العميق من ظاهر الأرض لأنها في مقابل السماك وهو العالي، والثاني بمعنى: ذهاب الضوء والنور.

[٦] الجنف: الميل عن الحق.

[٧] الأشائب: أي المشوب المختلط بغيره. والصميم: الخالص. والمنتقى من التمر: الجيد الخالص. والحسف: الرديء.

[٨] المعلنكس: الشديد السواد الكثيف.

وَلَعَّتْهم الريحُ وسطَ الرِّحَا | لِ بقِطقِطِ شفَّانِهَا إن عَصَفْ[٩]

وأمسى الكُلَيبُ يُهِرُّ الرِّعا | ءَ على النَّارِ ما زجَروه ازدَلَفْ

وَتَلقَى بِبِشرٍ يُزِيلُ الغَرَا | مَ وتُوسِعُ بِرّاً يُمِيطُ القَشَفْ[١٠]

وَمَا أنتَ إن قِيلَ أينَ الفَتَى | لِسَدِّ الثُّغُورِ وحَمْلِ الكُلَفْ

وعِنْدَ انتِطَاحِ كِبَاشِ الهِيَا | جِ أتُرِدِي الكَمِيَّ وتَحمِي السِّنَفْ[١١]

وتُضفِي على الأقربين الجَنَا | حَ وتَستُرُهُم بِفَضُولِ الكَنَفْ

فَأهونُ من ضَيعَةِ الأقرَبِيـ | ـنن على الحُرِّ فاحفَظْهُ عضُّ الرُّضَفْ[١٢]

وَكُن جَبَلاً عَاصِماً للمُضَا | فِ إذا رَاعَ رِيْعانُهَا ثُمَّ خَفّْ

وَجُدْ بالنَّوَالِ أَمَامَ السُّؤاَ | لِ وكُفْ عند إِقشَاعِ ما قد وَكَفْ[١٣]

فَلَيس النَّمامِي كالهِبْزِري | ولا الشِّمَّرِي كمثلِ الألِفْ[١٤]

---

[٩] القِطقط بالكسر: المطر الصغار، أو البرد الصغار. وشفان: أي برد وريح.

[١٠] القَشَفُ، مُحرَّكةً: قَذَرُ الجِلْدِ، ورَثاثَةُ الهَيْئَةِ، وسُوءُ الحالِ، وضِيقُ العَيْشِ.

[١١] السِّنف بكسر السين وفتح النون: جمع سِنفة: وهي الجماعة أو الصنف.

[١٢] الرضف: الحجارة الحارة.

[١٣] كُف: فعل أمر من وَكَف إذا هطل وسال وقطر، والمعنى: جد على الناس بالمال إذا وقفت السحاب عن الوكوف وهو قطر المطر.

[١٤] النمامي بالفتح، جمع نَمِّي كقمِّي: الدراهم أو الفلوس التي فيها رصاص أو نحاس. والهبزري بالكسر: الدينار الحديد، والذهب الخالص، والجميل الوسيم من كل شيء. والشمري: الرجل الماضي في الأمور المجرب. والألف: الرجل العزب.

ووفاته ليلة الثلاثاء لعشرين ليلة خلت من شهر القعدة، سنة (٦٣١)هـ، وقبره يلي قبر المرتضى جنوباً.

الأمير وهاس بن جعفر

وخلف قبر سليمان بن الإمام المنصور بالله، تحت الجدار:

قبر الأمير المكين وهاس بن جعفر بن محمد بن جعفر بن حمزة الحمزي.

أحد القواد المشهورين مع الإمام المنصور بالله عليه السلام، له مقامات حميدة، ومواقف شريفة في الجهاد بين يدي الإمام عليه السلام.

ذكر في اللوح المكتوب على قبره، مالفظه:

هذا قبر الأمير الأجل الكبير، صارم الدين، عميد المجاهدين، سيف أمير المؤمنين، وهاس بن أبي هاشم جعفر بن محمد بن جعفر بن حمزة بن الحسين بن حمزة بن الإمام الحسن بن عبد الرحمن، وساق النسب المشهور.

وكانت وفاته في ليلة ١٧ من شهر صفر سنة (٦٤٠)هـ.

ولم أتمكن من قرآءة أكثر اللوح لامتحاء بعضه، وتكسر البعض الآخر.

الثاني: القبور التي على يسار الداخل من الباب الجنوبي:

يحيى بن أحمد بن حنش

القاضي العلامة يحيى بن أحمد بن حنش رضي الله عنه، مولده في شهر صفر سنة أربعين وستمائة، وتوفي رحمه الله آخر يوم الاثنين، الثالث من شوال سنة سبع وتسعين وستمائة، فبلغ عمره سبع وخمسون سنة، وقبره في الطفة

مقبرة ظفار المشهورة، وهو أحد المذاكرين الذين حققوا الفقه ودققوه ولخصوه وهذبوه، وله تصنيف فيه يسمى الجامع، بلغ إلى كتاب الجنائز وعاقه عن التمام هجوم الحمام، قال في النزهة: وتممه ولده شرف الدين رحمهما الله، وله كتاب (أسرار الفكر في الرد على الكني وأبي مضر)، ومن مشاهير مشائخه الأمير الكبير العالم النحرير محمد بن وهاس الحمزي صنو الحسن بن وهاس، الذي عارض الإمام الشهيد أحمد بن الحسين عليه السلام.

وقبره أول القبور جهة القبلة مما يلي القبة.

محمد بن يحيى حنش

هو الفقيه العلامة شرف الدين، محمد بن يحيى بن أحمد بن حنش رضي الله عنه، مفخر العصابة، وسهم التوفيق والإصابة، المحرز من الاجتهاد نصابه.

مولده: في عشر خمسين وستمائة (٦٥٠)هـ تقريباً.

أحد العلماء المجتهدين المحققين المذاكرين وأنظاره ومصنفاته تدل على علو شأنه في العلم، وهو شيخ الإمام المتوكل على الله محمد بن المطهر، وشيخ السيد العلامة المرتضى بن المفضل.

ووفاته رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء في العشر الأول من ذي القعدة سنة تسع عشرة وبعمائة، وقبر إلى جنب أبيه في الطفة من جهة اليمن، ومبلغ عمره نيف وستون سنة وهو

قال في تاريخ السادة آل الوزير في ترجمة السيد المرتضى بن المفضل وذكر قراءته: وانتقل إلى ظفار، وقرأ على حي الفقيه العلامة شرف الدين محمد بن

يحيى بن حنش رحمه الله تعالى، وكان هذا الفقيه إماماً مجتهداً مصنفاً، وأبوه يحيى فقيه فقط، وكذلك جده أحمد بن السلطان حنش الكندي الشهابي رضي الله عنهما، وكان وصل أحمد هذا من بلاده يجاهد مع الإمام المنصور بالله بآلة الحرب على ما كانت عليه قبائل الزيدية، وكان سكن الخسمة، وفيها واد ينسب إليه، ويعرف الآن بوادي حنش، فساقه اللطف إلى طلب العلم الشريف والرغبة فيه، وإلى أن بلغ به وبأولاده إلى حيث عرف في أمر الدين، انتهى.

قلت: الخسمة - بالخاء معجمة فسين مهملة بعدها ميمم ثم تاء تأنيث.

وقرآءة العلامة المذكور على والده يحيى بن أحمد، وعلى العلامة عبد الله بن علي بن أحمد الأكوع.

وله من التصانيف: التمهيد، والتفسير لفوائد التحرير ألقاه على بعض تلامذته، والغياصة في أصول الدين شرح خلاصة الشيخ أحمد الرصاص، وتعليقات أخرى على اللمع، واليواقيت على لمع الأمير، وشرح التقرير، والقاطعة في الرد على الباطنية جزآن، وله تعليقة على اللمع علقها عنه الفقيه الفاضل الناسك المتأله محمد بن عبد الله الرقيمي.

وكان - قدس الله روحه - على ما كان من جلالته وعظم شأنه، وكثرة هيبته، وحسن جلالته، سهل الطريقة، لين العريكة، رضي الأخلاق، رحيماً عطوفاً رؤوفاً، لازماً لما ندب إليه صلى الله عليه وآله وسلم من صفة العالم الرحيم، مزيناً للفطن اللبيب التصوير لطرق المراجعة والسؤالات من القراءة والدراسة، رحيماً بالبليد بعيد الفطنة، يسأله هل فهمت؟ فإن قال نعم، وإلا

أعاد عليه بلين وبرهان، وكرر ثانياً وثالثاً واضعاً لكل شيء في منزلته، محباً لرضى جميع تلامذته، كارهاً لما يضيق صدورهم، يرى أنه ينال ولا ينالهم.

إن الزمـــــان بمثلـــــه لبخيـــــل هيهـــات أن يـــأتي الزمـــان بمثلـــه

وكان قدس الله روحه مائلاً طبعه إلى الجمع بين الأصول والفروع، مولعاً بالبحث والتدقيق، والإيضاح والتحقيق، محباً لتعليل المشكلات، والفروق بين المتشابهات، مطبوعاً على الأسئلة والجوابات، فلذلك كان سراجاً للشرعيين، شفاء للأصفياء الأصوليين، إنساناً للمتكلمين، إماماً للمجتهدين.

قال فيه الأمير شمس الدين أحمد بن علي في قصيدة له، وقد ترسل على الباطنية رسالة تسمى القاطعة، وجعلها جواباً على أسئلة واعتراضات وردت منهم على الإسلام وقواعده في العدل والتوحيد، وبالغ فيها عليهم في إبطال مذهبهم.

لـولا عجائـب صـنع الله مـا ثبتـت تلك الفضائل في لحم ولا عصب

وكان رحمه الله تعالى سريعاً في مذاكرته، طلقاً في مراجعته، ينحدر انحدار السيل، ويغلي غليان المرجل، قوي العزيمة، عالي الهمة، محباً لإرشاد المتفقهين، مقرباً للقراء والمتدرسين، واقفاً بنفسه على معالم أمور الدين، ومرضاة رب العالمين، رحباً ناديه، سمحاً أياديه، جامعة لصفة الكمال، نشأ وهذه سيرته، وهي سريرته رحم الله مصرعه، ونور مضجعه، آمين.

قال بعض أولاد الفقيه أحمد بن حميد المحلي: روى لنا الوالد يحي المذكور من صفة الفقيه العلامة، بدر الدنيا والدين، ثمرة الروضة العليا، وحيد الزمن، جوهرة الشام واليمن، عز الإسلام والمسلمين، محمد بن يحيى حنش، ذكر

الوالد أنهم قرأوا عليه شرفاً كاملاً، ثم شرعوا في الشرف الثاني، ثم انتهوا إلى باب صلاة الجماعة في ليلة الاثنين، وراح منا صحيحاً سالماً في ثاني ليلته، ثم قرأ وولى في أول يوم الاثنين إلى الغد، فلما فرغ من ذلك ابتدأه المرض من جنبه باقي يومه وليلته إلى آخر الليل، وآن طلوع الفجر، واختار الله له ما لديه، وأصبح يوم الثلاثاء معدوداً في الأموات، محسوباً فيمن فات، وهو اليوم الخامس من ذي القعدة سنة تسع عشرة وسبعمائة من الهجرة النبوية، سنة (٧١٩)هـ، أمطر الله عليه شآبيب رحمته، وألبسه سر بال مغفرته، في مستقر روضات جنته. انتهى من مطلع البدور بتقديم وتأخير.

وقبره يلي قبر أبيه المتقدم جنوباً، وهو أول القبور من جهة الجدار.

القبور التي خلف قبة الأمير محمد

الثالث: المقبرة التي خلف قبة الأمير محمد جهة القبلة، وفيها:

أحمد بن حنش

قبر الفقيه العلامة المهاجر أحمد بن حنش بن عبد الله بن سلامة السرياني الشهابي، توفي في عشر السبعين وستمائة، وقبره تحت الجدار القبلي لقبة محمد بن المنصور وعليه قبة صغيره في وسطه.

وهو الفقيه الفاضل الرئيس، أحمد بن حنش الكندي الشهابي رحمه الله.

نسبه إلى شهاب بن العاقل الأكبر بن ربيعة بن وهب بن ظالم بن معاوية بن كندة، واسمه ثور عقير بن عدي بن الحارث بن مرَّة بن أدد بن زيد بن

يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، هذا هو الصَّحيح في نسبهم ونسب بني شهاب لا إلى الأشعث بن قيس، هكذا حققه المحققون، ونسب الأشعث منحط قد وصمه أمير المؤمنين كرم الله وجهه وكفى به.

وهو أول من تأهل بالعلم من أهل هذا البيت الشهير، وهو شيخ الإمام أحمد بن الحسين في التهذيب للحاكم تفسير القرآن.

وكان منه ما حكي من الهفوة في مبايعة الفقهاءِ الذين مالوا عن الإمام الشهيد أحمد بن الحسين عليه السلام، وروى الفقيه عبد الله بن زيد توبته ورواها غيره، ولم يزل يشعرها ويكررها حتى توفاه الله على أحسن طريقة.

ويقال: إنه صنف كتاباً في الفقه، ووفاته في عشر السبعين وستمائة.

الحسن بن البقاء

ويليه غرباً قبر الفقيه العلامة الكامل الفاضل العامل حاكم المسلمين الحسن بن البقا بن صالح بن يزيد التهامي القيسي.

وإليك ترجمته من مطلع البدور:

وهو الشيخ الإمام الحسن بن البقاء، هو الشيخ العلامة المفسر المحدث الفقيه المصنف في العلوم حجة الإسلام، الحسن بن البقاء بن صالح بن يزيد بن أبي الحياء التهامي ثم القيسي، كان آية من آيات الله البينات، محققاً في العلوم جميعها.

له التفسير، والكامل في الفقه، لم ينسج شيء على منواله، حافل يتخرج في مجلدات، يستدل فيه بالأدلة الناصعة النافعة، ويخرجها من أحاديث آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كالعلوم والأمالي المؤيدية والطالبية والسمانية والمجاميع

والمسندات لآل محمد عليهم الصلاة والسلام، وله في الفرائض كتاب الوافي، وهو كاسمه وافي، تعلق فهي بعلم الفرائض والأدلة عليها، وأقوال المخالفين والحجة عليها، والذي غلب في ظني أن هذا الكتاب هو عمدة البحر الزخار، وأصله الانتصار في علم الفرائض، فإني قابلته مقابلة، فلم يظهر تفاوت.

وتولى القضاء للإمام أحمد بن الحسين، وله رحمه الله أشعار كثيرة، وكان بليغاً متضلعاً من اللغة، يزاحم كبار أهلها.

ومن شعره رحمه الله في الإمام أحمد بن الحسين عليه السلام:

إن الحمائم يوم بطن سويقة أورثن سامع سجعهن سقاما

ذكرن ربعاً بالطويق ومنزلاً ويجيب رابية العوير خياماً

قذفت بساكنها نوى مشطوبة وبركن بعد قطينهن قياماً

وبسفح أبنية العقيق تناضباً خضر الفروع نواعماً ونشاماً

اشتاقها وأحب ساكن سوحها حباً أذاب جوانحاً وعظاماً

يا عاذلي على الحنين لد منة درست لفقد أنيسها أعواماً

سحنت بها وطف السحاب ذيولها والعاصفات اجتثت الأعلاما

لم يبق فيها غير أشعث جادل جعلوا له يوم الرحيل حطاماً

بل رب قائلة أفق عن ذكرها وامدح من القوم الكرام إماماً

من عصبة شهد الرسول بفضلهم جعلوا لمن جحد الكتاب حماماً

من آل أحمد سيداً من سيد سمح السجية ماجداً قمقاماً

وهي طويلة، وله أشعار مستجادة رحمه الله.

وموته في السبعين وستمائة، وكان موته وموت العلامة أحمد بن حنش – رحمهما الله تعالى- في وقت متقارب، وقُبرا متقاربين، وكتب على لوح العلامة أحمد بن حنش بن عبد الله بن سلامة السرياني التهامي ما لفظه:

هذان قبران حل المجد قعرهما ويتقي والتقى والعلم قد لحدا

حازا اللذين أبانا للهدى سبلا وآثرا العلم والتعليم فاجتهدا

كافأهما الله بالإحسان إنهما قادا إلى الخير واختارا لنا رشدا

هذا قبر الفقيه الأوحد المهاجر عن أهله وأوطانه الراغب فيما وعد الله من جنانه، جمال الدنيا والدين أبي الحسن أحمد بن حنش بن عبد الله بن سلامة السرياني الشهابي.

والذي يليه من جهة الغرب إلى جانب القبة: قبر الفقيه الفاضل، العالم العامل، شرف الدين، حاكم المسلمين، الحسن بن البقاء، وكانت وفاتهما رحمة الله عليهما في مدة متقاربة، يجمعها عشر السبعين وستمائة سنة.

عبد الله بن سعيد

وعلى باب قبة الأمير محمد قبر مكتوب على لوحه:

هذا قبر الشيخ الأجل، الأوحد الأفضل، الكبير الأغر، المجاهد المهاجر الغريب، عبد الله بن سعيد بن الجلل بن رزام بن أنعم بن الجحدري الكردي الربيعي المذحجي، توفي يوم الخميس، لثمان ليال خلون من شهر ذي القعدة، سنة (٦٣٢)هـ.

القبور التي في الجهة الغربية لقبة الإمام المنصور بالله

الرابع: القبور التي في الجهة الغربية لقبة الإمام المنصور بالله (ع):

إبراهيم بن المهدي بن أحمد جحاف

القبر الذي على باب القبة الغربي –المسدود حالياً– هو:

قبر السيد العلامة إبراهيم بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن قاسم بن يحيى بن عليان بن الحسن بن محمد بن الحسين بن جحاف وهو محمد بن الحسين بن محمد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي رحمهم الله تعالى، قال السيد صارم الدين إبراهيم بن يحيى بن الهَدى.

كان رحمه الله من أفاضل السّادة وأعيانهم، طلب العلم واشتغل به وارتحل إلى البلاد وصحب الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين رحمه الله قبل الدعوة، ووصل معه الإمام إلى حبور، وأقام في بيت السيِّد إبراهيم الذي في الموقع عند بيت والده السيد المهدي بن أحمد في حافتهم المشهورة، وكان أولاد السيد المهدي بن أحمد الذين أدركوا الإمام شرف الدين يعينون لأولادهم المجالس التي كان يقعد فيها الإمام شرف الدين ويتبركون بها، من ذلك حجر أبيض في المجلس الذي قبلي الجامع حجر معروف قعد عليه الإمام شرف الدين، وكان السيِّد إبراهيم من خواصّ أصحابه، وممن أخذ له البيعة من أعيان القبائل، ثم وجهه الإمام شرف الدين من صنعاء هو والسيد الفاضل قاسم بن عاهم إلى جهة الأهنوم وبلاد القبلة، وكان في جبال

الأهنوم إذ ذاك الإمام مجدالدين من آل المؤيد بالله، وكان السيد قاسم بن عاهم أمير العسكر، والسيد إبراهيم والي البلاد، ولما وصلوا إلى أطراف بلاد ظليمة وعُذَر وصل إليهم مشائخ البلاد وأعيانهم وبايعوا للإمام شرف الدين، ورجع الإمام مجد الدين إلى بلاد الشام بغير حرب ولا قتال، كل ذلك بعناية السيد إبراهيم وحسن نظره ومحبته للصلاح وحسن التوسط، ولما قرر أعمال البلاد وولاَّها رجع إلى عند الإمام شرف الدين إلى صنعاء وأقام عنده أياماً.

ثم أمره بالخروج إلى ظفار وولاَّه أعمال البلاد القبليَّة جميعاً، وفوَّضه في أمورها وبلغ من حسن رأي الإمام في السيِّد أن وضع له علامته الشريفة بخط يده في أوراقٍ متعدَّدة، ليكتب تحت العلامة ما عرف أنه الصَّلاح، وبقي منها بقيَّة، مات السيد وهي عنده وتوارثها أولاده في أيديهم.

قال السيّد إبراهيم بن يحيى رحمه الله: ولم يزل على ذلك إلى أن اختار الله له ما عنده، فتوفي في يوم الأحد لأربع وعشرين خلت من شهر رمضان المعظم في الأيام الفاضلة من الشهر الكريم عام أربعة وأربعين وتسع مائة سنة، وذلك بمحروس ظفار، وقبره مشهور مزور عند باب مشهد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة من جهة الغرب.

وكان والده إذ ذاك مريضاً مدنفاً – أعني السيِّد الفاضل المهدي بن أحمد – فكتم أولاده عنه الخبر لئلا يجتمع عليه غمُّ ذلك مع كرب المرض، قال: وروى أن السيّد المهدي رحمه الله أفاق إفاقة فقال لهم: ما أتاكم من خبر من الوَلد إبراهيم؟ فقالوا: خير، فقال: قد أتاني من عزَّاني فيه، وقد توفي فعلموا أن ذلك

لإرادة الله زيادة ثوابه على ما بلغه من خبر وفاته، ثم توفي بعد ذلك بسبعة أيام، وذلك يوم عيد الفطر غرَّة شوال من شهور السنة المذكورة رحمهما الله تعالى.

الأمير صلاح بن عبد الله

ويليه إلى جهة الغرب قبر مكتوب على اللوح:

هذا الصلاحي صلاح الدين من كملت فيه المحاسن والموصوف بالكرم
وخير من ساد أعلام الكرام ومن سمت به همة من أرفع الهمم

هذا قبر الأمير الكبير الخطير الشهير، الحسني الحمزي المنصوري، صلاح الدنيا والدين، سليل أمير المؤمنين، صلاح بن عبد الله بن يحيى بن أحمد بن الهادي بن عز الدين بن شمس الدين بن ال بن الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت وفاته رحمة الله عليه ورضوانه في الليلة المسفر عنها نهار الأربعاء، لسبع بقين من رجب، سنة ثلاث وثمانين ثمانمائة، رحمه الله رحمة الأبرار، وحشره في زمرة النبي المختار صلى الله عليه وآله.

فاطمة بنت داود بن الإمام المنصور بالله

ويليه جنوباً قبر في وسطه قبتان صغيرتان، مكتوب على اللوح:

قبر الشريفة الفاضلة الطاهرة الصوامة القوامة، سيدة النساء، والدرة الثمينة من أهل الكساء، ذات المنن الموفورة، والفضائل المشهورة، فاطمة بنت داوود بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، توفيت في الليلة المسفر عنها نهار الاثنين من شهر بيع الأول سنة (٧٢٨)هـ.

علي بن أحمد بن الناصر

ويلي قبرها غرباً: قبر كتب على لوحه كتابات لم أتمكن من قرآءة أكثره، لانطماس الكتابة ورداءة الخط، والذي تمكنت من قرآءته بصعوبة:

هذا قبر علي بن شمس الدين أحمد بن الإمام الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى.

وفاته في الثالث من رجب سنة (٩٣١)هـ.

القبور التي في الساحة المنصورية ولم أتمكن من تحديدها

وهناك قبور كثيرة لم أتمكن من معرفة أصحابها، بسبب فقدان الألواح التي كانت عليها، ولكن ذكر المؤرخون أسماء بعض العلماء المشهورين الذين قبروا هناك، فمنهم:

إبراهيم بن سليمان بن أبي الرجال

الفقيه الفاضل العارف إبراهيم بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن المعروف بأبي الرجال بن سرح بن يحيى صنو الفقيه الفاضل إمام المذاكرين صاحب الروضة محمد بن سليمان، ترجم لإبراهيم صنوه العلامة موسى بن سليمان وأثنى عليه بما يستحقه.

وتوفي في أوَّل يوم من ربيع الأول من شهور سنة (٧٢٢)هـ.

قال أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور: وقبره بالطفّة المشهورة بظفار رحمه الله تعالى.

أحمد بن يحيى بن حنش

القاضي العلامة المجاهد شمس الدين أحمد بن يحيى بن حنش رحمه الله.

كان فاضلاً تقياً صالحاً، مرضي الحال، مجاهداً في سبيل الله.

وولي القضاء لسيف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم بن محمد، وكان له عنده مقام رفيع يفوّض إليه أعمالاً، وكان أهلاً لذلك، وتولى للإمام المؤيد بالله عليه السلام يريم والشعر وخبانين، وحضر في فتح عدن صفي الإسلام أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد عند افتتاحها عن أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم عليهما السلام، ثُمَّ سكن القاضي بظفار، ونقله الله إلى جواره في مشاهد سلفه، ودفن بالقرب من المشهد المنصوري، ثُمَّ بدا لهم نقله لما عرفوه من مقصده أو ما ينزل منزلة الوصية منه بأنه يقبر في الظفة المقبرة المشهورة، فأخرج بعد، وألفوه لم يتغير رحمة الله عليه.

مولده في شهر شوال سنة (١٠٠٧)هـ.

ووفاته وقت الظهر يوم الخميس (١٦) من ربيع الآخر سنة (١٠٥٤)هـ.

القبور التي في الجهة الغربية للمسجد

وأما القبور التي خلف جامع الإمام المنصور بالله عليه السلام إلى جهة الغرب، فكثيرة أيضاً، والذي تمكنت من معرفته منهم:

إبراهيم بن الإمام المنصور بالله

قبر الأمير الكبير، صارم الدين، إبراهيم بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام، توفي يوم الأربعاء، ١٤ جماد الأولى، سنة (٦٧٤)هـ.

وأمه: أم ولد حبشية من غنائم المحالب.

ولوالده الإمام المنصور بالله عليه السلام إليه هذه القصيدة العصماء التي يأمره فيها بمكارم الأخلاق، ومحاسن الخلال:

أبـــا حسَــــنٍ وإبـــــراهيمُ يُكنَـــــى	أبُـــو حَسَــــنٍ لقومِــــكَ أجْمَعِينَـــا
أصِـــــخْ لِوصَـــاتِنَا واحفــــظ فإنَّـــا	رَوَينـــا مـــا سَتَسْــمَعُ عـــن أبِينَـــا
وَعَينَـــا مـــا أضـــاعَ النـــاسُ إلَّا الـــ	مُتـــــابعَ للهـــــداة الرَّاشِـــــدِينا
أَقيمـــوا للهـــدى سُـــوقاً فإنّـــا	هَـــدَيناكم لـــذاكَ كمـــا هُـــدِينا
وقُومُـــــوا للعلـــــوم فأحرزُوهَـــــا	لِتحتَقِبُـــوا بِهَـــا دُنْيَـــا ودِينَـــا
وَكُـــن عنـــدَ النَّـــدَى سَـــيفَاً خَفِيفَـــاً	وعنـــدَ جِلَادِهَـــا طـــوداً رَزِينَـــا
وَكُـــن قُطْـــبَ الرَّحـــى فِـــي الـــرَّوعِ إمَّـــا	أُدِيـــــرتْ بالكُمَـــــاةِ الـــــدَّارِعِينَا
وَحَـــامِ علـــى تَوَالِيهَـــا وحَـــافِظْ	ونُـــصَّ لِبِـــيضِ عَارِضِـــهَا الجبينَـــا
وكُـــن للطالـــبِ الهيجَـــا حَرِيقَـــاً	وللبـــاغِي النَّـــدَى غَيْثَـــاً هَتُونَـــا
وَعنـــدَ الحِلـــمِ صَـــبَّاراً حَلِيمَـــاً	وعنـــد الـــرَّوعِ حيَّاطـــاً زَبُونَـــا
وَوَالِ الصـــالحين وعـــادِ مَـــن لَا	يُرَاقِـــبُ أمـــرَ رَبِّ العَالَمِينَـــا
ولا تَجـــزَعْ وإن طَمَّـــتْ خُطُـــوبٌ	تُبَـــدِّلُ شِـــدَّةَ الفِتيَـــانِ لِينَـــا

وإن رامَ العَـــدُوُّ إليـــكَ قُرِبَـــاً فخَـــلِّ وراءه شَـــوطاً بَطِينَـــا[١٥]

ولا تَغـــدُرْ ولَا تَمكُـــرْ فَشَـــرُّ الـــدُّ عَـــاةِ الغـــادرُونَ الماكِرُونَـــا

وكُـــن سُـــمًّا ذُعَافَـــاً للمُعَـــادِي ولِلْمُصـــفِي الإخـــا مـــاءً مَعِينَـــا

وأعـــطِ السـائلين فشـــرُّ هَـــذِي الـــ بريَّـــةِ مـــن يَـــرُدُّ السَّـــائلِينَا

وســـاعِد مُرشِـــدِيكَ ولا تُطـــعْ مَـــن يكُـــونُ لـــديكَ حلَّافَـــاً مَهِينَـــا

وَلَا تَعْجَـــلْ عَلَـــى خِـــلٍّ بِلَـــوِمٍ عسَـــاه يُرِيـــكَ عُـــذراً مُســـتَبِينا

وإن قِيـــلَ ابـــنُ مَـــنْ فأَجِـــبْ كَفَـــانِي بـــأنَّ أَبِـــي أميـــرُ المؤمِنِينَـــا

وأُمِّـــي نِحلَـــةٌ مِمَّـــا أفـــاءَت بِحُكـــمِ أبِـــي ســـيوفُ المُســـلِمِينَا

أخيـــذةُ كُـــلِّ بتَّـــارٍ جُـــرازٍ وأُسْـــدٍ فِـــي الـــوَغَى تَحمِـــي العَرِينَـــا[١٦]

وهـــل أمٌّ تُقَصِّـــرُ بـــالمُجَلِّي إمَـــامِ الأَفْضَـــلِينَ السَّـــابِقِينَا[١٧]

سَـــأَعْرِضُ دُونَ أنســـابِي لِحَـــامٍ حُسَـــاماً فِـــي مَلَاحِمِهَـــا سَـــنِينَا

فَأَمَّـــا فِـــي الجَحَـــاجِحِ مـــن قُـــرَيشٍ فسَـــهْمِي أحْـــرَزَ العُضـــوَ السَّـــمِينَا

أنَـــا ابـــنُ الضَّـــارِبِينَ الصِّـــيدَ هَبْـــرَاً إذا ارتعشـــت أكُـــفُّ الطاعنينَـــا

وَنَحـــنُ حُمَـــاةُ ســـرحِ الـــدِّيْنِ مِمَّـــن نَـــوَاهُ مـــن سِـــبَاعِ الجَاحِـــدِينَا

سَنُوصِـــي مَـــن نَمينَـــاهُ بِهَـــذَا كَمَـــا أوصـــى بـــذلك أوَّلُونَـــا

نُعَـــادِي مـــن تنَكَّـــبَ عـــن هُـــدَانا وإنْ وافَـــى بِـــزِيِّ النَّاسِـــكِينَا

---

(١٥) الشوط: غاية الجري. والبطين: البعيد.

(١٦) الجراز كغراب: السيف القاطع.

(١٧) أراد به الإمام الأعظم الولي بن الولي الشهيد السعيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فإن أمه جارية يقال لها (جيدا) أهداها المختار الثقفي لزين العابدين علي بن الحسين (ع) فأنجبت لَهُ زيداً.

كَمَـا فعـلَ الوصـيُّ غـداةَ لَاقَـى ... بصِـفِّينٍ جُمُـوعَ القَاسِـطِينَا

وأيـامِ الخُرَيبَـةِ فهـي غُـرٌّ ... ويـومِ النَّهْـرِ أفنَـى المَارِقِينَـا

فسِـرْ فِـي إِثْـرِ آبَـاءٍ كِـرَامٍ ... وكُـنْ رَجُـلاً بِهـا طَبًّـا فطِينَـا

تَنَـل مـا شـئتَ مـن شَـرَفٍ وفَخـرٍ ... يُقَصِّـرُ عـن مـداهُ الفاخِرُونَـا

وإنَّـا قـد وَلِينَـا النـاسَ دَهـراً ... ومِـن قَبْـلِ الوَلاَيَـةِ قـد وُلِينَـا

فأحْسـنَّا الإهابَـة إذ دَعَونَـا ... وأحَسَـنَّا الإجابـة إذ دُعينَـا

فكُونُـوا مثلَنَـا لِتُشَـابِهُونَا ... هُنَالِـكَ تُكتَبُـوا فِـي الصَّـالِحِينا

داوود بن علي

قبر الأمير الكبير الخطير، الجواد الحسيب النسيب، صارم الدين، داوود بن علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة، توفي يوم الاثنين، التاسع من ربيع الأول، سنة (٧٢١)هـ.

محمد بن أحمد حنش

وبجواره: قبر الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن أحمد حنش، توفي سنة (٨٢٥)هـ.

وهذان القبران خلف الجدار الغربي للصرح متصلان به مباشرة.

القاسم بن الإمام المنصور بالله

قبر الأمير الكبير أبي أحمد القاسم بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام، وكانت وفاته آخر نهار يوم الأربعاء، لعشر خلت من جماد الأولى سنة (٦٩٤)هـ.

ومن قصيدة الإمام عليه السلام فِي ولده قاسم وأمه أم ولد تركية:

أبـــا مُحَمَّـــدٍ والأنبـــاءُ سَـــائِرَةٌ ... وأنـت مـا بـين عـدنانٍ وخاقـانِ[١٨]

مـاذا مقالُـك إن لـم تُضْـحِ ذَا شَـرفٍ ... عـالٍ علـى شَاسِـعِ الأقـوامِ والـدَّانِ

وقـد سَـمَا بِـكَ مـن عليـا بَنِـي حَسَـنٍ ... ومـن سُـرَاةِ مُلُـوكِ التُّـركِ بَيتَـانِ

تَـرَدَّدَت فِيـكَ أَنسَـابٌ مُهَذَّبَـةٌ ... كَرِيمَـةٌ بَـينَ عِمَّـاتٍ وَتِيجَـانِ[١٩]

فَمَـا تقـولُ إذا جاشَـت غَوارِبُهَـا ... ورُفِّعَـت بِسُـرَيْجِيٍّ وَمُـرَّانِ

وَقَـلَّ مَـن يَتَثَنَّـى فِـي جَوَانِبِهَـا ... فـلَا تَـرَى ثَانِيَـاً فِـي تَليهِـا ثَـانِي

هَـل تعقُـبُ الخيـل بَسَّـامَاً وتُرجِعُهَـا ... وقـد تَصَـبَّبَ مِـن أعطَافِهَـا القَـانِي

حَتّـى يَقُـولَ كَلِـيمُ القـومِ قُمـتَ لنَـا ... مقـامَ جَـدِّكَ يـوم الأبتَـرِ الشَّـانِي

وَهَـل تَفُـكُّ يَـدَ العَـانِي فَتُنقِـذَهُ ... حتَّـى يَعُـودَ بِمَـا أوليتَـهُ عَـانِي

وَهَـل تقُـومُ بِأحكَـامٍ مُنَزَّلَـةٍ ... فِـي آلِ طَسـين أو فِـي آلِ عمـرانِ

وَتَـدرُسُ العلـمَ دَرسَـاً لَا فُتُـورَ بِـهِ ... مُـرَدَّداً بَـينَ تَوحِيـدٍ وقُـرآنِ

---

[١٨] خاقان: اسم لكل ملك للترك خقنوه أي ملكوه ورأسوه على أنفسهم.

[١٩] عمات جمع عمامة: وهي البيضة والمغفر وما يلف على الرأس مما يلبسه الأئمة والعلماء، والتيجان للملوك.

حَتَّـــى تَصِـــيرَ إمَامَـــاً فِـــي مَذَاهِبِـــهِ ... عَـالِي المنَـارِ لَـهُ شَـأنٌ مـن الشَّـانِ
وَتُكـــرِمُ الضَّـــيفَ والآفـــاقُ قَانِيَـــةٌ ... حَمـرَاءُ قـد أُشْـعِلَت جَمعَـاً بِنِيـرَانِ
وَتبــذُلُ الرِّفــدَ لِلبَــاغِي النَّــوَالِ وللــ ... ـمُحفِي السُّـؤَالِ بِتَقرِيـبٍ وإحسَـانِ
وَتمنَـــعُ الجَـــارَ ذَا قُربَـــى وذَا جُنُـــبٍ ... وَصَاحِبَ الجَنْبِ من إنسٍ ومن جَانِ
وَكُـــلٌّ فَـــرضٍ مـــن الـــرَّحمَنِ أنزَلَـــهُ ... فـانْهَض بِـهِ غَيـرَ هَيَّـابٍ وَلَا دَانِ
وَكُـــن لِقَومِـــكَ فِـــي أَزلٍ وَفِـــي سَـــعَةٍ ... وانصَـح لِرَبِّـكَ فِـي سِـرٍّ وإعـلَانِ
وَإن تَعَمَّـــت أُمُـــورٌ فِـــي مَـــذَاهِبِهَا ... فَقُـل مَقَـالَ عَلِـيٍّ فِـي ابـنِ عَفَّـانِ[٢٠]
وَإن مَلَكَـت أمـورَ النـاسِ فاسـعَ لَهُـم ... سَعيَ الشَّـفِيقِ اللبِيـبِ الحَـازِمِ الحَـانِي
وإن مُلِكـــتَ فأحســـن طَاعَـــةً لِوَلِيِّــ ... ـي الأمر فِي حَالَتَي سُخطٍ ورِضوَانِ[٢١]
وَأَجمِعُـــــوا أمـــــرَكُم لله دَرّكُـــــمُ ... كَفَـاكُمُ الـوَعظَ حَـالاً آلَ سَاسَـانِ[٢٢]
ولا تَكُـــن وَكِـــلاً فِـــي الأمـــرِ تَطْلُبُـــهُ ... وقُـل لِمَـن يَبتَغِيـكَ الإثـمَ سُبحَانِ[٢٣]
وَلَا يَغُرَّنْـــكَ فِـــي المَجهُـــولِ ذُو سَـــفَهٍ ... يَقُـول لَـم يَنـتَطِح فِي الخَطـبِ عَنْـزَانِ
وَشَـــاوِرِ النَّـــدبَ فيمـــا أنـــتَ فَاعِلُـــهُ ... ولَا تُقَـدِّمْ علـى الجُـلَّا بِقُرحَـانِ[٢٤]

---

[٢٠] إشارة إلى اتخاذ الحكمة والمواقف الموهمة التي لا قطع فيها، كما قال علي عليه السلام في قتل عثمان (ما أمرت ولا نهيت ولا رضيت ولا كرهت، استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله أمر في المستأثر والجازع) .

[٢١] ليس المراد ملك اليمين، بل ملك الطاعة لأولي الأمر من أهل البيت عليهم السلام.

[٢٢] آل ساسان: هم آل كسرى، ملوك فارس، والمراد اتعظوا بآل كسرى فإنهم لما تفرقوا زال ملكهم وهلكوا.

[٢٣] أي أنا نزه عما قلت وابتغيت.

[٢٤] قوم جلة: عظماء سادة ذوو أخطار. ويقال أنت قرحان من الأمر: أي خارج عنه، ومن لم يشهد الحرب.

واحفـظ مَقَـالِي فَعَـن حَمـزٍ رَوَيـتُ لكُـم وحَمــزةٌ كَــانَ يَــروِي عَــن سُــلَيمَانِ

نَصَّــاً حَفظنَــاهُ هَــدياً عــن أَبٍ فَــأَبٍ عَـن سَـابِقٍ عـن نَبِـيٍّ وَحـيَ رَحْمَـانِ

تِلــكَ المَكَــارِمُ لَا قُعبَــانَ مــن لَــبَنٍ وَهَــل يُمَاثِــلُ نُــورَ الحَــقِّ قُعبَــانِ

وَانصَـب جَبِينَـكَ للبِيضِ السُّـيُوفِ وَلَا تَخشَـى الحُتُـوفَ فَمَـا للمـرءِ عُمـرَانِ

وَقَـرِّبِ البَـرَّ ذِي التَّقـوَى فَقَـد عَلَـمِ الـ ـأَقوَامُ عنـدَ أَبِينَـا حَـالَ سَـلمَانِ[٢٥]

واطمَـع مِـن المَلـكِ الأَعلَـى بِمَوهِبَـةِ الـ ـأَعلَى كَمَا كَانَ فِـي مُوسَـى بـنِ عمـرانِ

وادفَـع عَـنِ الـدِّينِ بِالـدُّنيَا وإن عَظُـمَ الـ ـخَطبُ المُلِمُّ فَذُق مِن دُونِهِ الآنِـي[٢٦]

كُـن بَـاقِلاً فِـي الـذِي لَـم تُعـنَ أنـتَ بِـهِ ومِثـلَ سُـحبَانَ فِـي مَيـدَانِ سُـحبَانِ[٢٧]

وإن غَـدَا جَـدُّكَ المختَـارُ فَـاعنَ بِمَـا يَأتِيـكَ نَافِلَـةً مـن حُكـمِ لُقمَـانِ[٢٨]

وحَـامِ عَــن حُرُمَـاتِ الـدِّينِ مُحتَسِـباً للمَـالِ والـنَّفسِ مَـا كَـرَّ الجَدِيـدَانِ[٢٩]

وَلَا تَثِــق بِــأُمُورِ الــدَّهرِ إِنَّ لَــهُ حَــالاً تَحُــولُ وغُــولاً ذَاتَ أَلــوَانِ

داوود بن علي بن الإمام

وقبر الأمير الكبير، المعظم الجواد، الحسيب النسيب، صارم الدين، سلالة الأئمة الهادين، داوود بن علي بن الإمام المنصور بالله عليه السلام.

---

(٢٥) أي مكانة سلمان الفارسي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢٦) الآني: الحار جداً.

(٢٧) باقل: يضرب به المثل في الفهاهة والعي، وسحبان في الفصاحة والبلاغة، والمعنى كن عيياً فيما لا يعنيك، فصيحاً فيما أنت بصدده.

(٢٨) إشارة إلى وصية لقمان الحكيم لولده كما حكاه الله في آخر سورة لقمان.

(٢٩) الجديدان: الليل والنهار.

وفاته في آخر نهار يوم الاثنين، التاسع من شهر ربيع الأول، (٧١١)هـ.

المقبرة التي في الظفير وتسمى (الطفة)

وأما القبور التي في الظفير وهو المسمى بالطفة، وهو يقع في الغرب من مدينة ظفار، فهناك مقبرة كبيرة واسعة، وبعض القبور لا تزال الألواح المكتوبة باقية عليها، وبعضها قد تكسرت أو امّحى خطها، وبعضها لا شيء فوقها، ومما تمكنت من معرفته من تلك القبور، ما يلي:

قبر العلامة الكبير يحيى بن محمد بن أبي القاسم

قبر السيد العلامة الكبير العارف بالله يحيى بن محمد بن أبي القاسم، توفي سنة (٧٦٤)هـ.

وهو السيد العلامة الرئيس يحيى بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن أحمد بن يحيى المنصور بن الناصر لدين الله بن الهادي لدين الله يحيى بن الحسين بن القاسم سلام الله عليهم، من بيت علم شهير معمور بالفضل.

قال الزحيف في مآثر الأبرار: كان رئيساً ذا همة ولاه الإمام علي بن محمد ظفار وذكره غير ابن فند، والله أعلم، توفي بظفار سنة أربع وستين وسبعمائة، وقبره في الطفة رأس العقبة رحمه الله تعالى.

وفي اللوح الذي وضع على قبره، وجدتُ مكتوباً ما يلي:

قبر تكسرُ فوقه سمرُ القنا ... من لوعة وتشقق الأعلامُ

ملآن من كرم فليس يضره ... مر السحاب عليه وهي جَهَامُ

فيه السماحة والرجاحة والتقى يحيى الإمام السيد القمقامُ
من للعساكر والمنابر والدفا تر والمحابر بعدُ والأقلامُ
فعليك ما حل الندى وعلى النبي وبني النبي تحية وسلام

هذا قبر السيد الشهيد، الأوحد الفريد، جامع فضيلتي العلم والسيف، قامع دولتي ذوي الكبر والحيف، عماد الدنيا والدين، سليل الأئمة الهادين، يحيى بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن جعفر بن الحسين بن أحمد بن يحيى المنصور بن الناصر لدين الله بن الهادي لدين الله يحيى بن الحسين بن القاسم سلام الله عليهم.

أكرمه الله بالشهادة مقبلاً غير ذي إدبار بقصر داوود من ظفار يوم الجمعة في ربيع الآخر من سنة أربع وستين وسبعمائة.

العلامة مسعود بن علي الأسدي

وجدت على قبره لوحاً كُتب عليه:

هذا قبر الشيخ الأجل، رفيع القدر والمحل، المعظم المكرم، المجاهد المهاجر، عفيف الدين، ثقة الأئمة الهادين، مسعود بن علي بن مسعود الأسدي، رحمه الله رحمة الأبرار، ووقاه عذاب النار، وحشره في زمرة نبيه المختار، وكانت وفاته رحمه الله لثلاث بقين من شهر جمادى الأولى، سنة أربع وثمانمائة.

سعيد الحويت

وجدتُ على اللوح المكتوب على قبره ما يلي:

هذا قبر الفقير إلى رحمة الله، المهاجر للأوطان مجاهداً في سبيل الله، الفقيه التقي الطاهر العالم، تقي الدين: سعيد بن الحويت، وكانت وفاته رحمه الله، يوم الخميس لثلاثة أيام خلت من شهر رجب المعظم، سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

وغيرهم كثير لم نتمكن من معرفتهم إما لعدم وجود شاهد على القبر، وإما لعدم وضوح المكتوب عليه.

الفصل السادس: في بعض العلماء الذين سكنوا ظفار أو درسوا بها ولم يدفنوا بها

ذكرنا فيما سبق أن ظفار كانت معقل من معاقل العلم، وهجرة من أشهر وأهم الهجر العلمية في اليمن، ونذكر عدداً من الأئمة والعلماء الذين درسوا في ظفار أو سكنوا فيها ولم يدفنوا بها على سبيل الإشارة لا الحصر:

الأمير الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد

هو الأمير الناطق بالحق، أبو طالب، حامل لواء العلوم، منطوقها والمفهوم، وفارس مظنونها والمعلوم، شرف الدين الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى عليهم السلام.

كان من أعلام العترة الميامين، ومن علمائهم المبرزين، وعلمه أكثر من أن يوصف، ومعرفته أشهر من أن تعرف، فله من التصانيف ما يدل على علمه الغزير، حتى قيل أنه أبو طالب وقته.

صنف في الفقه كتاب المدخل، وكتاب الذريعة، والتقرير ستة أجزاء، وشفاء الأوام وصل فيه إلى كتاب النكاح، وكمّله الأمير صلاح الدين صلاح بن الأمير إبراهيم بن تاج الدين.

وللأمير الحسين في أصول الدين كتاب الينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة.

وأما الرسائل والأجوبة فكثير منطوية على علم غزير، وله ثمرة الأفكار في حرب البغاة والكفار.

ووقف بظفار مدة على إجلال وتكريم، من أولاد الإمام المنصور بالله، ولهم مقصد ببقائه، فإنهم يتخوفون منه لعلو مقامه، وصنف الشفاء هنالك، أيام الإقامة به.

وكان فصيحاً، ومن أشعاره ما وجهه إلى الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين عليهم السلام:

ألا يا دهر قد أكثرت صرمي	**فحسبك أيها الزمن الحرون**
تحاول قطع همي عن مرادي	**وحبلي في العلا حبل متين**
ولي رب الخلافة أي عون	**ومعتصم إذا عدم المعين**
أمير المؤمنين حِمامُ قَالٍ	**وكنٌّ للولي معاً كنينُ**
هو المهدي لدين الله حقاً	**إمام هدىً له رأي رصين**
ونحن الناصرون على الأعادي	**لمولانا الإمام فلا نخون**
ونبذل دونه مالاً ونفساً	**وجاهاً في الأنام وذاك دون**

وكان حجة في أهل وقته، يتعاورون كلماته، ويستظهرون بإشاراته.

كانت وفاته بعد قيام أخيه، وذلك إما في سنة اثنتين أو ثلاث وستين وست مائة، وعمره نيف وستون سنة.

علي بن أحمد بن الحسين بن مبارك الأكوع

العلامة المجاهد، إمام الناسكين وسيد السالكين، صاحب الجهاد والاجتهاد، والسبق لأهل الفضل والاقتصاد، علي بن أحمد بن الحسين بن المبارك بن إبراهيم الأكوع رحمه الله ورضي عنه.

هو سيد الشيعة وإمامهم وحجتهم، كان عمار زمانه، وسلمان أوانه، بطانة خالصة لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقول وفعل، ناصر الإمام المنصور بالله وشاركه في فعله المشكور، وكان اجتماعه به بشوابة بعد الرؤيا الصالحة التي رآها، ولم يزل مصاحباً للإمام في المنشط والمكره، وباشر معه الحروب، وتجلت به الكروب، مع خوضه للغمرات وتوليه لعالي المقامات، وقرأ على الإمام كثيراً من العلم، وقرر مذهب الإمام، وجمع كتاب الاختيارات المنصورية عن أمر الإمام حتى بلغ في تحريرها إلى كتاب الكفاءة، وكان ذلك بعد قراءة على الإمام عظيمة في شمس الشريعة تأليف شيخ الإسلام ركن الدين سليمان بن ناصر الدين رحمه الله ابتدأ ذلك في غرة شهر ربيع الآخر من شهور سنة إحدى وستمائة بحصن ذي مرمر.

ولما بلغ كتاب الكفاءة نجم ناجم العجم فحطوا على ظفار فخرج الفقيه جمال الدين لمظاهرة الوالي في ظفار من قبل الإمام وهو مولاه الشيخ دحروج بن مقبل رحمه الله، وقد كانت الأبصار زاغت والأنصار ارتاعت، فخرج في نحو أربعين من الشيعة، وهو رئيسهم فخذل الله العجم، وفي ذلك يقول الإمام عليه السلام قصيدته المشهورة في مدحهم، وقد نقلناها فيما سبق، أولها:

ظفـرت بمـدح المـادحين ظفـار لمـا حمـى عرصـاتها الخيـار

وكان القاضي أحد حفاظ المذهب المنصوري.

وكتابهُ الاختيارات المنصورية كتاب جليل، وللإمام فتاوى عدة غيره، ومما قاله العلامة أحمد بن علي الدواري رحمه الله في كتاب الاختيارات شعراً:

ليـت المـرادات جـاءت باختيـاراتي إذاً لَـتَمَّ كتـاب الاختيـارات

أكرم بخير كتاب فيه ما ذهبوا إليه عن حبر محكي وآيات
لله در إمام كان صنفه ودر تلميذه في جمع أشتات
ورحمة الله زارته بمشهده لدى ظفار على مر العشيات
وقبر تلميذه في حيثما دفنوا والمسلمين من الماضين والآتي

وقبره رحمه الله في الملاحة عند مسجده بجبل مرهبة، وهو مسجد عظيم.

إبراهيم بن محمد بن يحيى حنش

الفقيه العلاَّمة إبراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن حنش رحمه الله، عالم، من شعره:

ألف إلى ربي العزيز الكافي أقبلت طالب جوده الوكافِ
باء بليت بنفس سوءٍ همُّها كسب الذنوب وقلة الإنصافِ
تاء تعبت من الذنوب وحملها قد أنقضت ظهري بحمل جافِ
ثاء ثرى قبري أصير موسَّدا فيه وأبعث يوم حشر حافِ
جيم جمال القوم مدح محمدٍ بدر الظلام وسيد الأشراف
حاء حماه الله عن أعدائه وفكاه شر غوائل الأسلاف
خاء خيار الخلق طراً احمد معطي العطاء بغير ما إسراف

إلى آخر القصيدة، وأظنه صاحب المسائل إلى السيد علي بن محمد بن أبي القاسم، وله في المنصور بالله:

سلام الله طول الدهر مهما جرى في اليم بالريح الجواري
على من صار للأتي مزاراً بحصن ظفار يالك من مزارِ
وذلك سيد السَّادت تا ج الأئمة كلهم سامي النجار

إمــام العــالمين بــلا امتــراء حمــام الظـالمين ذوي الضــرارِ
مــلاذ الطـالبين غيـاث عـافٍ لـه فضـل مـع السَّـارين سـاري
غمـام الجـود قـاموس الأمـالي حليـف المجـد مرتفـع المنـارِ
أفـاض علـى الـورى علمـاً غزيـراً أفاضــة حــافظ حفــظ اقتــدار
وصـنف فـي فنـون العلـم جمّـا بتحقيــق يبســط واختصـــار
وأضــحى فائقــاً عمــلاً وعلمــاً ومعــروف المناقــب باشــتهارِ
فمـا أن فـارق القضـبان حتَّـى أتـاه المـوت يـا لـك مـن فخـارِ
فهـا هـو شـبه يحيـى فـي زكـاء وفي التطهير عن دنس الصَّغار
فهــا هــو شــبه عنتــرة شــجاع يجــل عــن المبــارز والمبَــارى
هــو المنصــور بــالرحمن حقــاً بــه انتشــر الهُــدى أي انتشــار
لقــد عظمــت فضــائله وحلــت وحلَّــق ذكــره فــوق الــدراري
بصــدق وداده أرجــو خلــودي مــع الأبــرار فــي دار القــرار

الإمام صلاح الدين محمد بن علي

وفي ظفار وقعت بيعة الإمام الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد العابد.

وهو الإمام الناصر لدين الله، أمير المؤمنين، صلاح الدنيا والدين، الإمام بن الإمام، العالم بن العالم، محمد بن علي بن محمد بن علي بن يحيى بن منصور بن المفضل بن الحجاج بن علي بن الأمير المعتضد يحيى بن القاسم

بن الإمام الداعي يوسف بن يحيى بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم عليهم السلام.

أمه أسماء بنت إدريس من ذرية الهادي عليه السلام.

مولده: في صفر سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

كان دأبه مذ شب اقتباس العلم والأدب، يكتب كل يوم فصلاً، ويزداد بكل وقت نبلاً، غيبه والده المختصرات الكلامية في حال قراءته، وقرأ في بلد وقش، ووجه إليه والده علماء الزيدية فأقاموا معه، ودرس عليهم جميع الفنون منهم: معيض بن مفلح لازمه مدة حتى استفرغ ما عنده من علم العربية، ولازمه إمام الزهاد إبراهيم بن أحمد الكينعي، وشيخه محمد بن عبد الله الرقيمي.

وسمع الحديث على العلامة أحمد بن سليمان الأوزري، وقرأ أيضاً على سلطان العلماء عبد الله بن الحسن الدواري، وله على والده سماع تحقيق فمما سمع عليه (الكشاف) مع جماعة من أهل الدين، والعلماء والمتعلمين، وكان والده يقول: أفادنا الولد محمد أكثر مما أفدناه.

وقرأ في الفقه في بني قيس على فقيه هنالك مجتهد في الفقه محقق، فلازمه.

وقرأ في كثير من العلوم على العلامة أحمد بن عيسى المذحجي الملقب جار الله، قرأ عليه في الأصول الدينية والفقهية.

وله من الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد بن المطهر إجازة قال فيها ما لفظه: ولما كان الإمام يَمّاً في العلوم عباباً، وسيفاً في الجدال قرضاباً، محرزاً لقصب السبق، مجيداً في الفتق والرتق، حبوته بإجازة مسموعاتي ورواية مروياتي، وأجزت

له أن يروي مصنفات والدي كـ(المنهاج الجلي) و(السراج)، و(الكواكب الدرية)، و(المجموعات المهدوية)، و(عقود العقيان)، وأجزت له في الحديث (مجموع الفقه)، و(أصول الأحكام)، و(شفاء الأوام)، و(أمالي المؤيد بالله) و(أمالي السيد أبو طالب)، و(أمالي أحمد بن عيسى)، و(الحدائق الوردية)، وأجزت له في الفقه (النكت)، و(الجمل)، و(اللمع)، و(التقرير)، و(شرح الإبانة)، وأجزت له (محاسن الأزهار)، هذه مسموعاتي منها بلا واسطة.

ومنها بواسطة أحمد بن حميد، والفقيه حسن بن علي الآنسي، وأجزت له جميع ما أجاز لي والدي وسيدي من فقه أهل البيت، ومن فقه الفريقين، وسائر الأخبار فهي معي إجازة منه عليه السلام، وأجزت له ذلك على ما اشترط المستمعون فالحمد لله مستحق حمده، انتهى بلفظه.

وأخذ عنه جماعة منهم: ناجي بن مسعود الحملاني.

وأخذ عليه أيضاً الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحي بن المرتضى، والإمام علي بن المؤيد بن جبريل، والسيد المهدي بن أحمد بن صلاح خال السيد الهادي بن إبراهيم مما سمع عليه السيرة، وكان من طريقة أصحابه أن يقرأ أحدهم ويأخذون في سؤاله فتفيض بحار الحكمة.

لم يزل مذ نشأ مرتقياً حتى فاق أقرانه أبناء الزمان، فليس يتسع لوصفه البيان، ولا يقدر على النطق به لسان، كان عارفاً بكتاب الله وتفسيره، ومعرفة الأحاديث النبوية والسيرة، ومعرفة رجال الحديث وما قيل فيهم من جرح أو تعديل، وأثنى عليه السيد الهادي وصنوه محمد بن إبراهيم ثناء كثيراً.

ولما أصاب والده الفالج وسقط عنه التكليف، قام بالأمور، وسد الثغور، وساس الجمهور، زهاء سنة قبل وفاة والده، ثم جمع العلماء، وقال لهم: هذا إمامنا قد سقط عنه التكليف، وكنت أصدر وأورد عن أمره، فانظروا لأنفسكم، وهذا آلة الجهاد وعهد المسلمين إلى أيديكم فحاربوا.

ولما توفي والده الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد بن علي عليه السلام، واضطرب أمر الناس بعده، سار ولده الإمام الناصر إلى ظفار للاجتماع والنظر فيمن يصلح للقيام، واجتمع إليه نحو ألف وثلاث مائة عالم، فأجمع رأيهم على تقليده بعد أن خَبروه، فوجدوه كاملاً، فبايعوه.

وأجابه أهل الحل والعقد، ولا يعلم أحد من أهل البصائر النافذة إلا دخل في أتباعه لعلمهم بكماله وفضائله، وكثرت محامده.

وقال الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد: أشهد أن هذا إمام مفترض الطاعة، رضيت به إماماً لي وللمسلمين، ثم خطب بذلك على منبر ظفار.

وكانت دعوته إلى الله تعالى في ظفار في آخر أيام أبيه، سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وملك من المدن ذمار وصعدة، ثم افتتح صنعاء في سنة أربع وثمانين وسبعمائة، وكانت لبعض الأشراف آل يحيى بن حمزة، وقهر أهل اليمن الأقصى فوصل زبيد وعدن والمهجم وحرض.

وأقلق إسماعيل بن الأشرف الرسولي في ممالكه، ودوخ البلاد، وبالجملة فإنه شاد معالم مذهب الفرقة العدلية، وقام بأوامر الله أكمل قيام.

وقد أجمع على سعة علمه كبار علماء الزيدية وغيرهم من الناس، وكان والده قد أشار بالخلافة إليه، وعلمه، وفضله، وزهده، وشهامته وشجاعته، وكرمه أشهر من الشمس السائر، والفلك الدائر.

قال في أنباء الزمن: اجتمعت الهدوية على إمامة صلاح الدين وبايعوه بظفار، فدوّخ الأقطار، وجاهد البغاة الأشرار، وخطب له في الصفراء وينبغ وحلي وتهامة والشحر.

وكان الإمام صلاح الدين شديد الإنكار على المفسدين، كبير الحمِيَّة على الدين، وكان يخرج بعض الليالي ومعه أصحاب متنكرين لتفقد أحوال الناس، ومن وجد منه العكوف على ما يوجب الحد الشرعي أقامه عليه.

وكان يتفقد الفقراء والمساكين، ويتحرّى وضع الحقوق في مواضعها، ورأى بعض الأيام بين يديه خمسمائة رجل من السادة والفقهاء لابسي الأجواخ ونحوها فقال: الحمد لله الذي جعل أموال الله في أهلها.

وكانت ضربة النقود التي يتعامل بها في أيامه فضة خالصة ليس فيها نحاس إلا قليل، البقشة نصف قفلة، مكتوب فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الإمام صلاح الدين).

وذكر زبارة في أئمة اليمن من مآثر الإمام الناصر في ظفار:

بناء قصر ظفار، وأنه لم يكن لذلك القصر نظير في اليمن إلا القصر الذي بناه المؤيد الرسولي في تعز.

قلت: ولم يعد هذا القصر معروفاً، بل ولا موجوداً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان دعاؤه للإمامة رحمة للعالمين بعد والده؛ لأن عنوان الباطل قد اشتهر، وسيف البغي قد ظهر، فقمع الله به المفسدين، وعز به الدين، وكان سقط من بغلته في بعض نواحي حجة بعد أن استولى على البلاد، وكان ميمون الحركة لم يلق كيداً ولا مكروهاً في أيام دولته، قدس الله روحه، ثم شفي، ثم حدث به مرض.

ولم يزل على ذلك حتى اختار الله له جواره فتوفاه الله في صنعاء، في الثالث من ذي القعدة، سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة، وعمره ثلاث وخمسون سنة.

وقبره في صنعاء بمسجده المسمى (صلاح الدين)، مشهور مزور.

يحيى بن أحمد بن مظفر وولده أحمد

القاضي العلامة الفقيه عماد الدين يحيى بن أحمد بن مظفر، علامة الزيدية، أخذ عن الفقيه يوسف، وله تصانيف مفيدة منها البيان الشافي، والكواكب النيرة على التذكرة والتبيان، توفي سنة (٨٧٥)هـ.

وولده القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن يحيى بن أحمد بن مظفر فقيه محقق عالم، قرأ على والده مصنف البيان، وفرغ من سماع البيان على والده في مسجد الإمام عبد الله بن حمزة بظفار في صفر سنة خمس وخمسين وثمان مائة.

السيد صلاح الدين صلاح بن إبراهيم

السيد الإمام العلامة الأمير صلاح الدين صلاح بن أمير المؤمنين إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن محمد عليهم السلام، العالم الكبير، والنحرير الخطير، له رسائل ومسائل، وكان حجَّة ومحجَّة.

قال السيد أحمد بن عبد الله الوزير في تاريخ بني الوزير: إنه كان من وجوه أهل البيت وعلمائهم، وأنه في زمان الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين.

وهو الذي تمم كتاب الشفاء إلى باب النفقات، ثم تممه السيد صلاح بن الجلال رحمهم الله تعالى.

قال في مطلع البدور: ولما وردت الرسالة القادحة من الباطنية إلى الإمام المطهر بن يحيى المظلل بالغمام أمره الإمام برد جوابها وهتك حجابها، فكشف النقاب، وأتى بالعجب العجاب، وما أحسن قول الإمام المظلل بالغمام حين وصلت إليه هذه الرسالة فإن من لفظه في جوابهم على الكتاب:

أمَّا بعد: فإن الرسالة القادحة، وردت إلى المشهد المقدَّس المنصوري سلام الله على ساكنه، بمحروس ظفار، حاسرة للثامها عاثرة بزمامها، كاشرة في ابتسامها، ترمي في غير سدد، وتكبُوا في القاع الجدد، لابسَة في ظهرها ثوب الدين الشريف، يشف من تحتها مذهب ميسمها السخيف، قد جمع فيها من أغباش جهالاته، وآجن ماء ضلالاته، ما يدل على باطن إلحاده، ويشهد بعناده وإجحاده، تارة يشير إلى صفات النقص والكمال، ومرة يقدح في عدل الكبير المتعال، وأخذ الإمام على هذا حتى قال:

إلى غير ذلك من الترهات، وزخارف الجهالات، ويُصور أن ذلك يخفى على أهل العقول، وأن أحداً عندها لا يحسن أن يقول، ولا في ميدان نقص بشبهته يجول:

وإذا مـا خلـى الجبـان بـأرض ... طلـب الطعـن وحـده والنـزالا

فكان كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفّه.

ومـن لـم يتـق الضحضـاح زلـت ... بـه قـدماه فـي البحـر العميـق

وتوفي السيد صلاح بن إبراهيم في أوائل القرن الثامن بعد سنة (٧٠٢)هـ، وقبره بالوعليّة من بلاد الشرف.

الوشاح الكلالي

الفقيه العلامة الوشاح الكلالي رحمه الله، قال العلامة ابن الوزير في تاريخهم: كان إمام عصره في علوم العربية، وكان مقيماً بظفار، وله خزانة كتب هنالك، وتصدر لنشر العلم والإفادة، وللفقيه على بعض الفقهاء المتعلقين ببني فاهم كلام جيد، وذلك أن الفقيه المتعلق بهم جوز لبعض بني فاهم أن يتزوج شريفة، فأنكر عليه جميع الشيعة الذين بوقش والجليلة والحرب والخيام، وتلك الجهات ثم وجهوا بذلك إلى الظاهر وغيره، فجاء جواب الظاهر بخط والوشاح الكلالي عنه، وعن سائر أهل ظفار، والجواب بخط كاتبه موجود بين كتبنا، وفيه أن من فعل ذلك وأفتى به استحق القتل إن لم يتب؛ لأنه استخف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستهان.

الإمام الناصر بن محمد بن الناصر القاسمي

الإمام المنصور بالله الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى الهدوي القاسمي الحسني.

كان تلميذاً للإمام علي بن المؤيد بن جبريل، وقرأ في كتب الأئمة على الإمام الواثق المطهر بن محمد بن المطهر.

وكان نادرة عصره، قاد الجنود، وخفقت فوق رأسه البنود، وعارض الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان، والإمام صلاح الدين وملك ذماراً، وأكثر بلاد خبان، ثم من ظفار إلى صعدة، وأخذ صعدة من يد الشريفة فاطمة بنت الحسن في سنة خمس وأربعين وثمانمائة، واستولى على جميع حصون صعدة، ثم لبث مدة وانقلبت عليه الأحوال ففر إلى ذمار، ثم إلى هران، ثم إلى صنعاء من طريق عرقب فقبض عليه أهل البلاد، وسلموه إلى الإمام المطهر بن محمد في آخر رجب سنة ست وستين وثمانمائة، وبقي في السجن إلى أول سنة سبع وستين وثمانمائة، ومات بالسجن بكوكبان، ونقل إلى صنعاء، وقبر بمسجد صلاح الدين بصنعاء.

الفقيه العلامة يحيى بن محمد بن يحيى

العلامة الصدر الفاضل محرز علوم الاجتهاد يحيى بن محمد بن يحيى بن صالح بن محمد بن حنش، كان صدراً من الصدور، وبدراً من البدور، عالماً من العلماء الكبار، وكانت ولادته في تاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة (٩٦٦)هـ.

ونشأ في طلب العلم وارتحل وجد فيه واجتهد وبلغ مبلغاً عظيماً، وزميله في الطلب الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، والسيد العلامة أمير الدين.

ومن مشائخه في التفسير العلامة جمال الدين أبو القاسم الهادي الصنعاني، قرأ عليه الكشاف، والفقيه العلامة شمس الدين أحمد الجربي، والقاضي علي بن قاسم السنحاني، والشيخ العلامة يحيى بن أحمد الطشي الرصاص، والفقيه العلامة عبد الله بن المهلا بن سعيد النيساي، وقرأ في آخر عمره على الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم قبل الدعوة بشهارة، سمع عيه الجوهرة في أصول الفقه والمعيار.

وكان باذلاً نفسه للطلبة، وكان رحه الله نحيفاً دقيقاً، لكنه كان يتوقد قلبه ذكاء وفطنة، وكان يحفظ القرآن غيباً وكثيراً من المختصرات، وكان يراه كثيراً في الخلوات يتلو القرآن ويلازم مطالعة الكشاف.

وكان قد سكن ظفار في آخر عمره بأولاده، وجمع كتبه هنالك وأراد الإقامة، وعدم الخروج منه لخلوة، بعد أن مكن الله الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام من خراب الحجر والمدينة، ولم يبق إلا المشهد المنصوري – على ساكنه سلام الله – فجاءت أسباب اقتضت عزمه إلى شهارة، ودعت إلى بقائه هنالك، وملازمته للأقراء إلى أن توفاه الله سبحانه حمياً سعيداً مشكوراً فعله.

وكان الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد قد ألزمه الخروج إلى جهات الظاهر ذيبين وظفار مع السيد الجليل المجاهد بدر الدين محمد بن صالح بن عبد الله الغرباني لما ولاه تلك البلاد، وأراد ملازمته للسيد ومعاونته ومناصحته، فاختار الله له ما عنده، وما عند الله خير للأبرار.

وكانت وفاته رحمه الله في يوم السبت في شهر شوال لثلاث بقين منه سنة ثماني وعشرين بعد الألف بمحروس شهارة، وقبره يماني مسجد الأشراف في الحوطة التي تليه من دون فاصل، وحضر دفنه ومواراته مولانا الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد عادت بركاته.

الفقيه العلامة عبد الله بن المهلا

الفقيه العلامة فخر الدين عبد الله بن المهلا بن سعيد النيسائي الشرفي.

ولد في شهر صفر سنة خمسين وتسعمائة في بلد الوعلية في الشرف الأعلى.

هو الشيخ العلامة، البليغ النحوي، الأصولي، ثابت اللب، العلامة المحقق المدقق، الحافظ لعلم المعقول والمنقول، شيخ شيوخ زمانه، رحل إليه الطلبة وانتفعوا به، واستقر بباب الأهجر أياماً، وفد إليه الطلبة، وكان نظيراً للسعد التفتازاني في علوم العربية والتفسير، وله (أجوبة مسائل) تدل على علم واسع، وأكثر الفضلاء في زمانه عيال عليه.

وتشوق للقائه الباشا جعفر عند إقامته بصنعاء، واتفق به على وجه واتفق أن الباشا أراد امتحان أهل حضرته بحديث اختلقه من عند نفسه، نمق ألفاظه فلما أملاه ابتدر الحاضرون من الفقهاء لكتابته وتشرفوا بعلو إسناده إلاَّ المهلا، فقال الباشا: لم لا تكتب؟ فقال: قد أفدتم والجماعة كتبوا ونحن حفظنا، فقال الباشا: هذا والله هو العالم، وأثنى عليه.

طلب العلم في حداثته وأخذ عن جماعة من كبراء العلماء، وأدرك السيد عبد الله بن القاسم العلوي، ولم يتأت له الأخذ عنه، وارتحل للعلم إلى الأقطار، فأول قراءته على والده المهلا بن سعيد في الفرائض وأصول الدين.

ثم ارتحل إلى الظفير صحبة والده، وقرره في المشهد المقدس، وأقام سبع سنين، فأخذ النحو على الفقيه عبد الله بن أحمد الناصح وصنوه إبراهيم الراغب.

ثم قرأ علي السيد الهادي الوشلي (المطول) و(العضد) و(الكشاف)، ثم تزامل هو والإمام الحسن بن علي مرة أخرى في قراءة العضد، وكذلك الكشاف، وكان قراءتهما في الوعلية، ثم ارتحل لقراءة الفقه إلى **عرفة ظفار**، وقرأ على القاضي علي بن عطف الله، ثم ارتحل لطلب الحديث، فقرأ كتب أهل البيت على والده، وعلى علي بن عطف الله.

وأخذ عنه السيد أمير الدين بن عبد الله في أصول الفقه، وطلع إلى صنعاء في سنة خمس وتسعين وتسعمائة وأقام فيها أياماً، وأخذ عنه جماعة، ثم انتقل بأولاده إلى الأهجر من بلاد كوكبان، وأقام فيه تسع سنين، وارتحل إليه الطلبة من صنعاء والأهنوم، كالقاضي حسن بن سعيد العيزري، وبلاد آنس والحيمة والشرف وشبام وكوكبان، واستفاد عليه خلق كثير، وفي خلال ذلك قرأ الرسالة الشمسية على الشيخ نجم الدين البصري الواصل إلى اليمن سنة ألف، ثم رحل إلى وطنه وأقام بقية عمره يقرئ.

وتوفي في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين بعد الألف، في الشجعة -بمعجمة ثم جيم ثم مهملة-، وقبره بها، وكان عمرة ثمان وسبعين سنة.

الفصل السابع

بعض الخراب والدمار الذي تعرضت له ظفار

لقد تعاقبت الدول على ظفار لمنعته وحصانته، بين دول الهدى، ودول الضلال، - وإن كان الغالب أن تكون السيطرة عليه من قبل أئمة الهدى-، فبينا يتخذه الأئمة عليهم السلام حصناً للمسلمين، ودرعاً واقياً من المعتدين، تجد أن البغاة والظالمين يحرصون على الاستيلاء عليه للإضرار بالمسلمين، وفعل ما يتسنى لهم بعيداً عن أعين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

فقد سبب الظالمون والبغاة بسوء تصرفاتهم، وقبح أفعالهم، على بعض تلك الحصون المنيعة، أن تنالها أيدي المحقين.

ففي أيام الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام تحصن الأتراك العثمانيون ومن ظاهرهم ووالاهم من البغاة والمفسدين بتلك الحصون، فحصل ما حصل مما سطره التاريخ، وذكره مؤلف سيرة الإمام القاسم بن محمد.

وسأكتفي بنقل ما هنالك، قال المطهر بن محمد الجرموزي في النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة، ما يلي:

[خراب حِجر ظفار داود ومدينة ظفار]

وفي هذه النهضة ترجح للإمام عليه السلام عن رأي الحاج شمس الدين أحمد بن عواض- خراب حجر ظفار داود ومدينة ظفار، بعد الاستيلاء على الحصن المذكور، فإنه كان لا يزال فيه الرتبة من العجم، وكان أهله يداً للظالمين.

وأول أسباب ذلك -كما أخبرني القاضي الأعلم بدر الدين أحمد بن محمد بن يحيى بن حنش، عن حي صنوه القاضي شمس الدين أحمد بن يحيى رحمه الله تعالى أنه لما اتفق ما سيأتي من الأسر لمولانا الحسن رضوان الله عليه، ووجم المسلمون لذلك وحزنوا كثيراً، فرأى من حوالي ظفار من حاشد وبكيل من أهل مدينة ظفار فرحاً بما ساء المسلمين وأظهروا سروراً، ثم خرجوا إلى أعلى من ذيبين إلى الجبل المسمى قدارة وكان يوم سوق المنقضة، وعشروا من هنالك مع رتبة الحصن المذكور من العجم وهمدان، فعظم موقع ذلك، وأظهروا العداوة لأهل ظفار، ولما فتح الله بما سيأتي من فتح الترك أخذهم الله في غارب أثلة وما قبلها من الوقعات المذكورة غزاهم الحاج شمس الدين أحمد بن عواض، والقاضي العلامة الهادي بن عبد الله بن أبي الرجال، ولما بلغ أهل ظفار الإجماع على اسئصالهم طاروا في البلاد، وتفرقوا جيراناً مع القبائل، وأخرب الحاج شمس الدين والقاضي حسام الدين ومن معه ما أمكنهم، وتركوا ما غلبهم عليه العجم مما يقرب من الحصن المسمى الحجر، فإن العجم وهمدان تحصنوا فيه وحموا ما حوله بالبنادق.

وكان في المشهد المنصوري القاضي العلامة عماد الدين، وشيخ الشيعة الأكرمين، يحيى بن محمد بن حنش، وهو أحد العيون، والمشار إليه في جميع الفنون، فأمره الحاج والقاضي بترك المشهد، وهبط بمن معه من الطلبة إلى ذيبين.

ثم جعل الحاج شمس الدين على حصار الحصن المذكور الشيخ المجاهد محمد بن صلاح البحش رحمه الله، ولما طال عليهم الحصار وضاقت عليهم الأرض بما رحبت راسلوا إلى الحاج شمس الدين أحمد بن عواض رحمه الله، وكان في غيل مغدف من أعمال الميقاع، وبينه وبين شيخ همدان الشيخ مهدي الهمداني مواصلة لأجل ما تقدم منهم من الإحسان إلى الحاج رحمه الله، والقاضي الهادي ومن معهم رحمهم الله تعالى في همدان، فأرسل الشيخ محمد البحش أيضاً مع المحاصرين وكان قد لحق بالحاج وبقي عليهم نحو الشهر، ثم وصلت مكاتبتهم أيضاً الحاج شمس الإسلام رحمه الله فأمنهم وأخرجهم وقبض الحصن والسلاح وما أجلبوا به، إلا همدان فأكرمهم ولم يأخذ منهم شيئاً لأجل ما تقدم، ثم عاد الحاج لمثاغرة العجم في بلاد الميقاع كما تقدم،، وترك الشيخ محمد البحش على خراب حصن الحجر بأمر الإمام عليه السلام، وراسلوا لأهل ظفار بالأمان أن يعودوا فلم يرجعوا، وأطالوا الخطاب فلم ينجع فيهم، فأمر الإمام عليه السلام بخراب مدينتهم وهي إلى الآن، وقد رجع أكثرهم وعمروا في تاريخ هذه التوقيعات.

وذكر القاضي المذكور عن أخيه القاضي شمس الدين رحمه الله أن الإمام عليه السلام مع زيارته إلى ظفار وذيبين في سنة ست وعشرين وألف وقف على خراب البركة العظمى فتبرأ من ذلك وقال: ما أمرت بذلك، وكنت معه عليه السلام في ذلك اليوم ولم أسمع أي ذلك كان، والله أعلم.

[قوعة ظفار]

وجمعت أخبار ظفار في سنة أحد وعشرين عقيب ذكر خراب الرجو وما يتصل بها لأجل اجتماع الفائدة وإلا فإن خرابها كان في عام ثلاث وعشرين وألف، وبسبب حجر ظفار اتفقت حروب شديدة في النهضة الأولى والأخرى، واتفق في بعضها القضيتان المشهورتان قتلة في العجم في عقيب ظفار قتل منهم كثير، وهزمهم الله على يد القاضي الهادي رحمه الله، والفقيه عز الدين بن علي رحمه الله تعالى.

وصفتها: أن العجم أرسلوا طاغيتهم درويش لاستدراك رتبة ظفار وقد كادوا يهلكون جوعاً، فوصل إلى عمران البون وحمل طعاماً على نحو أربعمائة نفر، وقدم إلى مذود، وقسم الفلاحين الذين عليهم الطعام من طريقين لأجل الطريق، وكان الحاج شمس الدين والقاضي الهادي، والشيخ صالح بن حمران، والشيخ محمد البحش في جانب بني علي وبعضهم في جانب مرهبة ومواضع.

فقدموا للقائهم فاتفق حرب عظيم واتصل بالحصن بعض الطعام على مشقة وانقطع الأكثر، وقتل من القبائل الذين حملوا الطعام مع الترك فوق المائة النفر كما تقدم، وعاد العجم حتى حطوا بمذود، فقاتلهم الفقيه المجاهد عز الدين بن علي في جدر من أعمال بني جبر، والقاضي هادي في موضع يسمى خراب واف، وبقي الحرب حتى وصل الشيخ المجاهد صالح بن محمد حمران في غارة من بني علي وذبيان، فعاد الحرب ودخل

على العجم إلى أطرافهم وانهزم أصحابه، وقتل منهم نحو خمسة وثلاثين نفراً، ومن غيرهم مثلهم، فكان القتل من جنود الحق فيما بلغ نحو سبعين نفراً، ولولا دفاع الله وثبات الشيخ صالح أبي سرعة المشهور عن الشيخ صالح حمران لكان قد أحيط به، وعاد أمير العجم درويش لعنه الله إلى موضع من الصيد يسمى الحيس، وغزا مواضع من بلاد الصيد، وأخرب معاقلهم، وبقي نحو خمسة عشر يوماً وقتل من أصحابه جماعة، وهزم في بعضها من سوات بلد من الصيد وقد غزاها، وكان فيها القاضي الفاضل الهادي رحمه الله وحاصره فيها حتى كاد يستأصله، والإمام عليه السلام في جانب من مرهبة فأغار الإمام عليه السلام للغوث بنفسه، فانتهى إلى ذيبين وبلغه هزيمة الطاغي والفرج عن القاضي بكثرة الغارات من القبائل مع حركة الإمام عليه السلام، وقد قتل من الفريقين كثيراً أكثرهم من جنود العجم، ثم رجع أميرهم الطاغي إلى ابن حاجب موضعاً هناك، وقتل من أصحابه نحو أربعين نفراً.

والأخرى القتلة المشهورة من بني جبر فإنهم أغاروا إلى طرف قاع الشمس وصفة ذلك: أن درويش انهزم إلى الماجلين من البون وبقي القاضي الهادي رحمه الله في ابن حاجب، فوصلت غارة بني جبر تريد الاتصال به، فقطعهم الخيل فقتل منهم أربعين رجلاً، ومن غيرهم ممن كان مختلطاً بهم نحو العشرة في موضع واحد، وهذه في النهضة الأولى والثانية والثالثة، وذكرناها في ذكر خراب ظفار لتعلقها بأسباب كما ترى. والله الموفق.

وقال الجرموزي أيضاً في سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد عليهم السلام، المسماة تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من الأخبار:

[إعادة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم إعمار ظفار]

ولما كان في شهر جمادى الأولى عام ثلاثة وستين وألف، رأى الإمام عليه السلام، التقدم للطيافة إلى المشهد المنصوري بظفار.

وكان حي مولانا الإمام المؤيد بالله عليه السلام أراد عمارة الحجر، ورجوع أهل ظفار إلى بلدهم كما سبق من والده الإمام المنصور بالله عليه السلام، فلم يتأت له ذلك وحصلت موانع، وكان الإمام — المتوكل على الله– عليه السلام في عام تسع وخمسين وألف قد أمر الفقيه الفاضل العالم علم الدين قاسم بن علي الخياري، وهو رجل من أهل التقوى والعلم النافع، يعد في الصالحين بالمقام في المشهد المنصوري، وأن يشرع في عمارة الحجر، وما أمكن من مرافق المشهد المقدس، فعاد إلى ظفار كثيرون من أهله وآنسوا بالمقام، واستمرت العمارة، وأتم الله لمولانا الإمام ذلك على سهولة، والحمد لله رب العالمين.

ولما وصل مولانا عليه السلام إلى ظفار تلقاه أهل المشارق جميعاً – فقهاؤها وزعماؤها– بالنذور الكثيرة، وتيمنوا بطلعته المنيرة، واغتنم الجميع منهم رؤيته، والتمس كل منهم دعوته، وكانت قد كثرت فيهم الفتن، وتطاولت الإحن فيما بينهم، وبعدوا عن الشريعة، وعن التحكم لها، وكان المطر في تلك الجهة قليلاً والوقت أول حزيران، فحصل مع قدومه عليه

السلام مطر عظيم، امتلأت منه المناهل وعمت البركات، وكثرت الخيرات، وأخذ عليه السلام في تفقد المظالم التي بين القبائل عموماً، وبين أهل كل بلد خصوصاً، وأقام القضاة للفصل، وكانت المفاسد والمنكرات من نحو ما سيجيء إن شاء الله في خبر ابن وازع، فأمرهم بالخروج عن المظالم، فكان الحال كما روي في أخبار إمام الأمة أمير المؤمنين الهادي إلى الحق عليه السلام وقدومه صعدة، وما أطفأ الله به من الفتن.

نعم! فقرر الأحكام، ونصب الحكام، وأنفذها الخاص منهم والعام، وأنس أهل المشارق إلى الشريعة الغراء بعد أن كانوا خائفين منها، وانتصف المظلوم، وأمنت السبل، وكانت ثمرة الواديين شوابة وهران كما صرمت، وعرف عليه السلام حاجة العسكر المنصور إلى الجلب، وإقامة الأسواق، وأهل المشرق لا عهد لهم بجلب العلف، ونحوه من المبيعات.

فسرح عسكراً كبيراً مع الفقيه محمد بن جميل، والنقيب الصالح المجاهد سرور بن عبد الله إلى شوابة وهران، فأقاموا هنالك ليلتين يتصل بهم عبيد الأودية، وحملوا العلف وغيره للبيع، وعادوا إلى الإمام عليه السلام، وقد سكنت فورة المشرق، وصلحوا وجلبوا إلى المحطة المنصورة بالله.

ووصل الأمراء من أهل الجوف كالأمير الفاضل صالح بن الحسين بن المطهر بن الشويع وغيره من الأشراف بالزكوات والنذور والهدايا، وأحسن إليهم الإمام كثيراً، ووصل بوصولهم ومن بعدهم أيضاً كبار أهل الجوف لزيارة الإمام ولفصل خصومات، وعادوا بعد ذلك، ولا زالوا يعاهدون كذلك.

[أحداث بلاد ظفار داود]

ولما خرج الإمام عليه السلام من محروس شهارة إلى السودة وأقام فيها ولا زالت بعوثه وسراياه شرقاً وغرباً وتنفيذ الأحكام، وحفظ صلاح العام، منها بلاد ظفار داود المعروف فإنها كثرت منهم المفاسد، والمظالم فعظمت فيهم الخصومة بقتل النفوس، وانتهاب الأموال، وكان الإمام عليه السلام راسلهم كما تقدم في ذكر طلوع مولانا الحسين (أيده الله تعالى) إلى جهاتهم، فلم تنجح فيهم، وكانت قد عظمت الخصومة بين الشيخ صالح بن مطهر بن عبد الله بن وازع، ومن تقرب إليه من أفخاذ عيال أسد، وبينه وبين عيال أسد أيضاً والمرازيح والمداعير، وكانوا اجتمعوا على حربه فحاول الإمام عليه السلام الصلح بينهم فلم يتفق له، وقد استدعاه الإمام عليه السلام والمشايخ من خصمائه، ورفق بهم، وأحسن إليهم وتألفهم.

ثم إن الشيخ المذكور قل صبره على المقام في الحضرة الشريفة مع أنه في غاية الإكرام، وكان منزله منزلة كرام الضيوف، فهرب وعاد إلى التوحش، فتركه الإمام عليه السلام حتى ظهر منه خيانة من قبض ولاة أصحابه من شوابة بغير ولاية، فأرسل الإمام عليه السلام مولانا محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين أيده الله تعالى بعسكره إلى خمر من جانب مرهبة، وكان مولانا أحمد بن الحسن -أطال الله بقاه-، متجهزاً للحج، وذلك في أواخر شهر شوال عام اثنين وستين وألف، فأمره الإمام عليه السلام أن يوجه من قبله مدداً إلى مولانا محمد بن أحمد وهو حينئذ في معمور الغراس، وأعمال ذي

مرمر، فوجه السيد الجليل الأجل صلاح بن محمد السراجي في نحو أربعمائة، وجاءوا من طريق محصم وأسفال بني زهير، ثم خرجوا الحول من أعمال ثوابة من جهة العدن، ومولانا محمد ومن معه قصدوا المراحيب مواضع المذكورين فتحصن الأشرار في معاقل لهم ودار الخطاب.

ووصل الشيخ المذكور إلى السيد صلاح ليستجير به، ولرجاء أن يحصل الاختلاف بين العسكرين، فيذهب في الوسط، فلم يقع على غرضه، وهرب إلى جهات المشرق مرة أخرى، فأخذ جنود الحق ما في معاقله من الحبوب الكثيرة.

ثم أمر الإمام عليه السلام بهدمهم، فصارت نكالاً، ولغيرها أمثالاً، وكانت فيما مضى لا يتصل بها والٍ محقاً كان أو مبطلاً، وأقام المذكور في بلاد سفيان جاراً لا يقر به قرار، ولا يأوي إلى حي، وإنما يرعى هو وأصحابه بأنعامهم وفي كل ليلة يمسون بها في جهة.

ثم إنه طلب الأمان فأمنه الإمام (عليه السلام) أخرى بشرط وصوله إلى مقامه الشريف، فوصل إليه (عليه السلام) وبقي أياماً، وبدى له الهروب كما تقدم لألفه البوادي ونفوره عن الحضر ولم يكن منه بعدها خلاف، ولا غيار في تلك الأطراف. انتهي المراد نقله.

فهذا بعض ما تيسر نقله وذكره على سبيل التنبيه والإشارة، لا على سبيل الإحاطة، وسنوسع البحث فيما بعد إن شاء الله تعالى مدعماً بالصور، وموثقاً بالمعا لم التاريخية إن شاء الله تعالى.

وقد أخبرني بعض الإخوة أن هناك كتاباً يتحدث عن ظفار وحصونها، ولم نتمكن من العثور عليه حتى الآن.

فلعله يحتوي على أشياء أخفاها التاريخ، أو طمسها الزمان، وإذا يسر الله تعالى به وكان فيه بغية الأمل، قمنا بطباعته ونشره، إن شاء الله تعالى.

وأرجو ممن اطلع على هذا البحث المتواضع، وعنده فائدة، أو اطلع على خطأ في شيء مما ذكرته، أن يتحفني بذلك، ويخبرني به، وينبهني عليه، وله من الله الأجر، ومني خالص الدعاء والشكر، وحسن الثناء والذكر، فالمؤمن مرآءة أخيه، والتعاون في مثل هذه الأمور مما يحسن وينبغي بين الناس - إن لم يكن واجباً في بعض الأحوال -.

وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يرضيه، وأن يجنبنا معاصيه، وأن يجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم، وأن يلحقنا بأهل البيت الأطهار، إنه على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

ونختم هذا البحث بزيارة للإمام المنصور بالله عليه السلام، ومن بجواره من العلماء والصالحين، فنقول وبالله التوفيق:

زيارة الإمام المنصور بالله عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذِي لَا يَبْقَى إِلَّا وَجْهُهُ، ولا يَدُومُ إِلَّا مُلْكُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ دِيْنَهُ خَيْرُ الأَدْيَانِ، وَذُرِّيَّتَهُ خَيْرُ الذُّرِّيَّةِ.

الحمد لله رب العالمين، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، أشهد أنك نعم الرب، وأن محمداً نعم الرسول . صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وأن ذريته خير الذرية، وأن دينه خير الأديان.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يا رسول الله، السَّلَامُ عَلَيْكَ يا محمد بن عبد الله، السَّلَامُ عَلَى علي أمير المؤمنين، السَّلَامُ عَلَى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، السَّلَامُ عَلَى الحسن المسموم، السَّلَامُ عَلَى الحسين المظلوم.

السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا إمام المسلمين، السلام عليك أيها المنصور برب العزة، السلام عليك يا عبد الله بن حمزة.

السلام على الإمام المجدد للدين، والقائم بشرائع رب العالمين، والداعي إلى الصراط المستبين.

السلام عليك يا ابن محمد المصطفى، وابن علي المرتضى، وابن فاطمة البتول الزهراء، وابن الحسنين السيدين الشهيدين ريحانتي المصطفى، السلام عليك يا سليل الأئمة النجباء.

السلام عليك يا من بشر به رسول رب العالمين، وبشر به علي أمير المؤمنين.

السلام عليك يا من وردت البشارة به في الملاحم، وامتلأت بفضائله ومناقبه صحف أهل السير والتراجم.

السلام عليك يا من اختصه الله بالعلم الواسع، والفضل الجامع.

السلام عليك أيها الإمام القائم بأمر الله، السلام عليك أيها المجاهد في سبيل الله.

السلام عليك يا فخر الإسلام، وقطب الأنام، ومصباح الظلام، وبدر التمام، ومبين الشرائع والأحكام، ومبيد المطرفية الطغام.

السلام عليك يا من بشر به رسول رب العالمين، السلام عليك يا من بشر به علي أمير المؤمنين، السلام على من بشر به الإمام زيد بن علي.

السلام عليك يا أبا محمد، السلام عليك أيها المنصور المؤيد، السلام عليك أيها المظفر المسدد، السلام عليك أيها الليث الغضنفر، السلام عليك أيها القائد المؤزر.

السلام عليك يا ليث الكتائب، السلام عليك يا كثير المناقب، السلام عليك يا ابن الأئمة الأطايب، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

السلام عليك يا من بلغت دولته إلى الجيل والديلم، وأذاق أعداءه مرارات العلقم، واشتهر صيته وذاع عند ملوك العرب والعجم.

السلام عليك أيها الإمام الأعظم، والبحر الخضم، والبدر الأتم.

السلام عليك يا من سكّ المسامعَ، صوتٌ جهير للسامع، ليلةَ وفاته حتى سمعه أهل المجامع، يقول فيه القائل: يا أبا محمد أنت القمر الزاهر، وأنت الربيع الماطر، وأنت الأسد الخادر، وأنت البحر الزاخر، وأنت من القمر نوره وضياؤه، ومن الشمس حسنه وبهاؤه، ومن الأسد بأسه ومضاؤه.

السلام عليك يا من طهر الله به البلاد، وأنقذ به العباد، من أهل الكفر والإلحاد، من المطرفية المرتدين الأوغاد، وغيرهم من أهل الضلال والعناد.

السلام على صاحب الكرامات الكثيرة، والمؤلفات الشهيرة، والعلوم الغزيرة، والآيات الباهرة المنيرة.

السلام على الإمام الصوام القوام، العابد الزاهد، الراكع الساجد.

السلام عليك يا من أجمع على إمامته، جميعُ أهل البيت في عصره، ودخلوا في جمعته وجماعته، وتسارعوا إلى نصرته، وتسابقوا إلى بيعته.

السلام على صاحب الأيام المأثورة، والمساعي المشكورة، والآثار الحميدة المبرورة.

السلام على الإمام الحجة، السلام على واضح المحجة.

السلام عليك يا حافظ الآثار والسنن، وجامع العلوم في كل فن.

السلام عليك يا من طار بذكره الركبان، وبهر بفصاحته أولي الفصاحة والبيان.

السلام عليك يا من حمى مذهب أهل البيت الطاهر، ودافع عن عقائدهم من كل ملحد فاجر، ونشر علومهم في البوادي والحواضر، وأخرج فضائلهم من بطون الدفاتر، حتى أملاها الناس في المجامع وفوق المنابر، حتى أرغم أنف كل ناصب داعر.

السلام عليك يا من رَدَّ على الفلاسفة والملاحدة، السلام عليك يا من أبطل شبه المشبهة والقدرية والمرجئة وغيرهم من ضلال البرية.

السلام عليك يا حميد المذاهب، السلام عليك يا عذب المشارب، السلام عليك يا سُمَّ النواصب.

السلام عليك يا شِجَاكَ المعتدين، السلام عليك يا حتف المعاندين.

السلام عليك صاحب المؤلفات النافعة، والحجج القاطعة، والبراهين الساطعة.

السلام عليك وعلى آبائك الأكرمين، وأجدادك السابقين، السلام عليك وعلى أبيك السيد الإمام، الأمير المحتسب، حمزة الجواد المنتجب.

السلام عليك وعلى جدك الأمير الخطير، سليمان بن حمزة.

وعلى جدك التقي حمزة بن علي.

وعلى جدك الأمير العالم العامل، المحتسب الكامل، علي بن حمزة.

وعلى جدك الأمير الشهيد السعيد، حمزة بن أبي هاشم.

وعلى جدك الإمام النفس الزكية، أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن.

وعلى جميع آبائك وأجدادك الطاهرين.

السلام عليك وعلى ولدك الأمير المحتسب، الناصر لدين الله، محمد بن المنصور بالله.

وعلى أولادك المقبورين في دار هجرتك داوود وسليمان وإبراهيم.

السلام عليك وعلى من بجوارك من العلماء الأخيار، والشيعة الأبرار.

السلام عليك وعلى إخوانك القادة الأتقياء، الشهداء النجباء، صارم الدين الشهيد السعيد إبراهيم بن حمزة، والشهيد السعيد محمد بن حمزة، والقائد الكبير أبي المظفر عماد الدين يحيى بن حمزة.

السلام عليك وعلى جميع أعوانك وأنصارك وقوادك، من أهل البيت الأطهار، وأشياعهم الأبرار.

السلام عليك وعلى الأرواح الطاهرة التي حلت بفنائك، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، سلام ود لا وداع، ووصل لا انقطاع، وإلفة لا انصداع.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنَ الرِّسَالَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمُخْتَلَفَ المَلَائِكَةِ، وَخُزَّانَ العِلْمِ، وَمُنْتَهَى الحِلْمِ، وأُصُولَ الكَرَمِ، وَقَادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ، وَعَنَاصِرَ الأَبْرَارِ، وَعَائِمَ الأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ العِبَادِ، وَأَرْكَانَ البِلَادِ، وَأَبْوَابَ الإِيْمَانِ، وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ، وَسُلَالَةَ النَّبِيِّيْنَ، وَصَفْوَةَ المُرْسَلِيْنَ، وَعِتْرَةَ خِيْرَةِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الهُدَى، وَمَصَابِيْحِ الدُّجَى، وَأُوْلِي الحِجَى، وَكَهْفِ الوَرَى، وَوَرَثَةِ الأنْبِيَاءِ، والمَثَلِ الأَعْلَى، وَالدَّعْوَةِ الحُسْنَى، وَحُجَجِ اللهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، ورَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلَامُ عَلَى الأَئِمَّةِ الهُدَاةِ، والسَّادَةِ الوُلَاةِ، والذَّادَةِ الحُمَاةِ، والقَادَةِ التُّقَاةِ، وأَهْلِ الذِّكْرِ، وَأُوْلِي الأَمْرِ، وَبَقِيَّةِ اللَّهِ وَخِيْرَتِهِ، وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ، وَنُورِهِ وَصِرَاطِهِ وَبُرْهَانِهِ، وعَلَمِ نَجَاتِهِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ، وَمَعْدِنَ الرُّشْدِ والبَرَكَةِ، وَسَفِيْنَةَ النَّجَاةِ.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا هُدَاةَ الهُدَاةِ، وَعِدْلَ الكِتَابِ، وَأَوْلَى الخَلْقِ بِالهُدَى وَالصَّوَابِ، وَجِبَالَ الحِلْمِ، وَبِحَارَ العِلْمِ.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا مُعْلِنِي الهُدَى، وَمُسِرِّي التُّقَى، وَغِيَاثَ الوَرَى.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا بَابَ حِطَّةِ ذُنُوبِ المُذْنِبِيْنَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا آلَ طَهَ وَيَاسِيْنَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا رَوْحَ المُؤْمِنِيْنَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا عِتْرَةَ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا كَهْفَ الهَارِبِيْنَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا كَنْـز الرَّاغِبِيْنَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَغْصَانَ الشَّجَرَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا بَاكُورَةَ الثَّمَرَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا حَتْفَ الفَجَرَةِ.

السَّلَامُ عَلَى قُوَّامِ شَرْعِ اللَّهِ، وَحَفَظَةِ دِيْنِ اللَّهِ، وَخَزَنَةِ عِلْمِ اللَّهِ، وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ، وَخُلَفَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ، وَحُرَّاسِ تَوْحِيْدِ اللَّهِ، وَمُنَفِّذِي حُدُودِ اللَّهِ، وَمُبِيدِي أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلَامُ عَلَى الأَئِمَّةِ الهَادِيْنَ، وَالعِتْرَةِ المَيَامِيْنَ، وَالأَوْلِيَاءِ المُجَاهِدِيْنَ، وَالسُّلَالَةِ المُطَهَّرِيْنَ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيْراً.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ عَنَّا وَعَنْ آبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَإِخْوَانِنَا، وَأَرْحَامِنَا، وَأَصْدِقَائِنَا، وَأَقْرِبَائِنَا، وَمَشَائِخِنَا فِي الدِّينِ، وَمَنْ أَوْصَانَا وَاسْتَوْصَيْنَاهُ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ سَلَامَ وُدٍّ لَا وَدَاعٍ، وَوَصْلٍ لَا انْقِطَاعٍ، وَإِلْفَةٍ لَا انْصِدَاعٍ، أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَحَيْثُمَا حَلَلْتُمْ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا خُلْفَ لِقَوْلِهِ وَلَا تَبْدِيْلَ، لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهْوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهْوَ الَّلطِيْفُ الخَبِيرُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهْوَ السَّمِيعُ البَصِيْرُ.

وأشهد أن محمداً عبدُهُ المنتجب، ورسوله المنتخب، وصفيه وخليله، وأمينه على وحيه وتنزيله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

وأشهد أنكم أولياء الله وأحباؤه، وعترة رسوله وأصفياؤه، وأنصار توحيده، وأركان تمجيده، ودعاته إلى دينه.

وأشهد أنكم أمرتم بالمعروف الأكبر، ونهيتم عن الفحشاء والمنكر، وصبرتم على ما أصابكم في جنب الله، فعظمتم جلاله، وأكبرتم شانه، ووكتم ميثاقه، وأحكمتم عقد طاعته، ونصحتم له في السر والعلن، ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة.

فمن تولاكم فقد تولى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن أرضاكم فقد أرضى

الله، ومن أغضبكم فقد أغضب الله، ومن اتبعكم فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

أشهد الله وملائكته وأنبيائه والصالحين من عباده، أني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، ولي لمن واليتم، عدو لمن عاديتم، محب لمن أحبكم، مبغض لمن أبغضكم، متقرب إلى الله عز وجل بحبكم، والبرآة من أعدائكم.

آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، وفضلكم على خلقه أجمعين، سوى الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين.

طأطأ كل شريف لشرفكم، وبخع كل متكبر لطاعتكم، وذل كل شيء لكم، وأشرقت الأرض بنوركم، وفاز الفائزون بولايتكم، فبكم يسلك إلى الرضوان، وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن.

أنتم السبيل الأعظم، والصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والباب المبتلى به الناس.

من أتاكم فقد نجا، ومن لم يأتكم فقد هلك، إلى الله تدعون، وعليه تدلون، وبه تؤمنون، وله توحدون، وإلى سبيله ترشدون، وبأمره تعملون.

سعد والله من والكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضل من فارقكم، وأمن من تمسك بكم، وخاف من التجأ إلى غيركم، من اتبعكم فالجنة مأواه، ومن خالفكم فالنار مثواه، ومن جحدكم، أوكفر بكم، أو حارب علومكم، فقد برئ من الله.

موالي: لا أحصي ثناءكم، ولا أبلغ من المدح كنهكم، ومن الوصف قدركم، فأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وشحاك المردة المرتدين الفجار.

فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورضي عنكم أحسن الرضا، وأشركنا معكم في جهادكم وتضحياتكم، وحشرنا معكم ومع جدكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبلغ الله بكم في أعلى عليين، وجعل رفقتكم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وجعلنا من خيار مواليكم التابعين لما دعوتم إليه.

اللهم إني أتوسل إليك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، وكاشف الغمة، وهادي الأمة، ومبدد الظلمة، وبأخيه ووصيه علي المرتضى، وبفاطمة البتول الزهراء، وبالحسنين الإمامين الشهيدين، وبجميع أئمة أهل البيت المطهرين، دعاة ومقتصدين.

اللهم إني أسألك بحقهم الذي أوجبت لهم عليك، أن تجعلني في عداد أشياعهم، وأن تدخلني في زمرة المرحومين بشفاعتهم، وأن تغفر لي بحقهم، وأن تهديني سبيل الحق الذي سلكوه، وطريق الهدى الذي دخلوه.

ثم تقرأ الفاتحة مرة واحدة، وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة، وآية الكرسي، وسورة التكاثر، نُقَدِّمُ ثَوابَهَا، ونُهْدِي بَرَكَاتِهَا، إلى روح النبيِّ، والوصي، والزَّهراء، والحسنين، وآلهم الطيبين الطاهرين، وإلى روح الإمام

المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام، ومن بجواره، ومن حواه مشهده المقدس، ومن زرناهم في هذه الزيارة.

وبهذا نكون قد أنجزنا غرضنا على إيجاز واختصار ، ونسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

إبراهيم يحيى عبد الله الدرسي الحمزي وفقه الله

٢٤/صفر/١٤٤١هـ.

وإضافة الزيادات في يوم الثلاثاء/ ٢٩/ من شهر رجب/ ١٤٤١هـ

الفهرس